الموسوعة الإسلامية

بناء الإنسان في رحاب القرآن

دكتور

عايد طه ناصف

مؤسسة حورس الدولية

الناشـــرون

مؤسسة حورس الدولية
للنشر والتوزيع
١٤٤ ش طيبه- سبورتنج - الإسكندرية
ت.ف : ٥٩٢٢١٧١ - ت ٥٩٣٠٥٩٨

المركز الإعلامى للدراسات
والبحوث القومية والاستراتيجية

رئيس المركـــز : د. عايد طه ناصف
مدير التحريـــر : فوزيـــة الوكيل
المديـــر الفنـــي : مهندس خالد ناصف
المديـــر العلمـــى: رانيا عايد ناصف

٤٥ ش أحمد عرابى - المهندسين
ت : ٠٢/٦٧٤١٨٨٥

رقم الإيداع بدار الكتب
٨٨٠٥ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى I.S.B.N
977-368-080-0

2009

الإخراج وفصل الألوان
وحدة التجهيزات الفنية بالمؤسسة
الإخراج الفنى :إنعام خطاب
مراجعة لغويـة: عبد الرحمن الجبالى

تحذير
حقوق الطبع محفوظة للناشر
ويحذر النسخ أو الاقتباس أو التصوير
بأى شكل إلا بموافقـة خطيـة من
الناشـر

الإهداء

إلى

عباد الله أولى البأس الشديد

وقائدهم المنتظر ،،،

لماذا هذا الكتاب

يعد هذا الكتاب ثمرة بحث ودراسة فى إعجاز القرآن وأصول السنة المشرفة طوال ستة عشر عاماً .

وقبل هذه السنوات ومنذ عام ١٩٦١ وجدت نفسى تواقة إلى التنقيب فى مناجم القرآن الكريم ، وكان التنقيب متواضعاً ، إلا أنه كان يكبر مع نضج الفكر وتقدم العمر.

وتمكنت منى هذه الميول الفكرية والروحية .

كتبت فى الشعر وكانت المسحة الدينية فى أبياته .

كتبت فى السياسة فوجدت أن فحواها ترد إلى الدين .

كتبت فى الإعلام وكان مآله إلى المضمون القرآنى .

كتبت فى الاقتصاد وكان فى البدء والانتهاء من وإلى كتاب الله .

وتملكتنى هذه القوة قلباً وقالباً وسيطرت على فكرى وقلمى وأصبحت هذه بصمة تميز مؤلفاتى وبحوثى ودراساتى .

وما كان أمامى غير أن أستجيب لنداء منظومة القرآن أنهل منها وأغذى العقل والوجدان ، أطفئ ظمأ الفطرة ، وأشبع أوار النفس بزاد وزواد من القرآن والسنة المشرفة .

وكلما ازددت تعمقاً ازددت راحة وسكينة ، وكلما ارتويت ازددت ظمأ.

ولقد قام منهجى فى هذا الكتاب على النحو الآتى :

- البعد تماماً عن الخوض فى التفسير القرآنى للمعانى لأن هذا شأنُ العلماءِ والمفسرين المتخصصين .
- البعد عن كل الخلافات المذهبية أو الاجتهادات الشخصية التى تثير الجدل والخلاف .

- إبراز القيم السامية والمثُل العليا التى تميز الشخصية الإسلامية السامية.
- التأكيد على وحدة الأديان منذ بداية آدم وحتى يرث الله الأرض وما عليها.
- الاستدلال بقصص القرآن فى كل موقع وموضع يستحق أن يروى فيه وعنه القصص للتشويق والاستمالة.
- التبسيط فى المعنى والمدلول حتى يكون هذا الكتاب ملائماً لكل الأعمار ومناسباً لكل العقول .
- انتقاء الألفاظ والجمل لتحقق للقارئ ثراءً لغوياً يستفيد منه .

وما أردت من هذا الكتاب سوى أن أقدم باقة عطرة من فردوس القرآن للأجيال لكى يتنسموا عبير القرآن ويتلمسوا أريجه .

فالقرآن العظيم هو دستور الخالق الذى شرعه لعباده ، وهو المنهج الذى ارتضاه لهم وجعله نوراً ورحمة ، وفيه ومنه خيرهم فى الدنيا والآخرة ، وهو الكتاب الذى ختمت به رسالة السماء للأرض ، والتى جاءت فى صحائف النبى شيث وبعده إدريس ونوح وصحائف الخليل إبراهيم وفى التوراة التى نزلت على موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم جميعاً السلام .

ولقد نزلت شريعة الله تعالى على الأنبياء لهداية الخلق الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم وأضلتهم الشياطين والأهواء .

وكان الله الرحمن الرحيم بعباده وخلقه ، ينزل هذه الشريعة على كل نبى أو رسول بما يتلاءم مع مراحل النمو العقلى والتطور الروحى للخلق ، فإن شاء أوحى إلى نبىٍّ شريعة يعمل بها ولا يبلغها ، فيكون قدوة ومثلاً أو أرسل رسولاً بشريعة يعمل بها ويبلغها للناس ليمتثلوا بأوامرها .

ولقد كان منهج الرؤوف الرحيم وشريعته متدرجة وميسرة فى أوامرها

ونواهيها بما يحقق غايتها فى تأديب الخلق أدباً سامياً لتستقيم حياتهم وأمورهم المادية والروحية ، وانتهت الرسالة وخُتمت بالقرآن الكريم .

ولقد نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فى ليلة السابع عشر من رمضان فى السنة الحادية والأربعين من ميلاده ، واكتمل نزوله فى اليوم التاسع من ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة وفى السنة الثالثة والستين من ميلاده ﷺ

فكانت المدة ما بين نزوله وختامه أثنين وعشرين سنة وشهرين وأثنين وعشرين يوماً .

ولقد نزلت سُوَرٌ من القرآن الكريم فى مكة المكرمة قبل هجرة الرسول العظيم إلى المدينة وهذه السور تعرف بالسور المكية ، أما السور الأخرى التى نزلت فى المدينة المنورة ، أو نزلت فى ضواحيها أو نزلت أثناء غزوات الرسول أو نزلت فى مكة المكرمة بعد عام الفتح فتسمى السورَ المدنيةَ .

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، كتاب من عنده هدايته عظمى ونوره مبين .

والإنسان العاقل هو الذى يدرك حقيقة الوجود وأن الدنيا ليست غاية بل هى المعبَر إلى الحياة الخالدة الباقية ، وأنه لم يُخلق عبثاً .

وقَدَّر الله له أن يُعَمِّر الكون بالخير ويُجَمِّل الدنيا بالحب والسلام .

والله ترك الإنسان حراً يختار ويفاضل بين الطاعة والمعصية .

والعاقل أيضاً هو الذى يختار طريق الهدى الذى يروى ظمأ الفطرة بالسكينة ، ويملأ جوانح النفس بالطمأنينة، والفائز هو الذى يتزود بزاد التقوى ذلك الزاد الذى ينبت فى شجرة الحياة براعم الإيمان التى تثمر قطوفاً دانية فى حياة الخلد التى وعد بها المتقون .

فما أجمل من يتزود من شجرة اليقين، وما أجمل أن نوصى أنفسنا وأبناءنا بالتمسك بأصول الدين وأن نجعل من كتاب الله منارة لقلوبنا ومظلة لضمائرنا وعقولنا .

ونحن اليوم وفى هذا الزمن المتداعى فى مَسيس الحاجة لننقذ أنفسنا وأبناءَنا وعقولنا من هذا الضعف المعنوى والسطوة المادية، ولا سبيل غير الامتثال للرسول وطاعةِ وصيته الخالدة التى يقول ﴿ﷺ﴾ فيها :

﴿ تَرَكْتُ فُيكم مَّا إن تَمَسَّكتُم بِهِ لَن تضِلُّوا بعدى أبَدْاً .. كِتَابَ اللهِ وسنتى﴾

المؤلف

٢٩/١٠/٢٠٠٤م

الباب الأول

الفصل الأول

سورة الفاتحة

الفصل الثانى

سورة البقرة وكنوزها الإيمانية

الفصل الثالث

قصة خلق آدم وتعمير الأرض

الفصل الأول

سـورة الفـاتحـة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾

صدق الله العظيم

- يقرأ الإنسان ليتعلَّمَ ويعرفَ ويستكشف الوجود ، وهناك ملايين الملايين من الكتب يقرؤها الناس وتنتهى بنهاية قراءتها إما لأن العودة إليها لا تفيد أو لأن معلوماتها تغيَّرت بتغيُّرِ المعارف والفُنُون .
- والعقل البشرى لم يبلغ الكمال ولن يبلغه لأن الكمال والجلال لله وحده، وكتب البشر مهما عظمت قيمتها وعظم محتواها لا تجمع معرفة شاملة أو علماً متكاملاً لأنها من صنع هذا العقل المتنامى المتغير .
- وهناك كتب مقدسة نزلت على بنى البشر كالتوراة والزبور والإنجيل إلا أنها كانت تسعى لتحقيق التطور الروحى للإنسان .

❖ ولما اكتمل البناء الروحى والوجدانى للخلق نزل أخلد كتاب على آخر نبى وأعظم رسول ، نزل القرآن الكريم الذى وعد الله بحفظه إلى يوم القيامة فيقول العزيز الحكيم فى سورة الحجر :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

ويتحقق هذا الوَعْد الإلهى بحفظِ القرآن الكريم ، فيحفظه الله من كل تحريفٍ أو تبديل أو تغييرٍ بعين قدرته. ويحفظه فى صدور الصَّالحين بمشيئته .

ولهذا فإن هذا الكتابُ العظيم لا تَأْتى عليه مُتغيِّراتُ علم أو تقدم إلا وتشهد بأن ما فيه يسبق كل تطور ويتحدث عن كل مستحدث .

❖ فالقرآن هو معجزة السماء فى الأرض ، ومعجزة الرسول الخاتم محمد ابن عبد الله .

❖ والله سبحانه جعل لهذا القرآن الكريم فَاتِحَتَهُ التّى تُزَيِّنُ صَدْرَ القرآن بدلالات الإعجاز ، وتُزيِّن القُلوب المؤمِنَة بمشاعل الهُدىَ ورُمُوز الإيمان .

❖ وفى سُورة الفَاتحة تتجَلَّى حقائق الوُجُود ويَبْرز أعظمُ دستور للرحمة، وأَخْلدُ ميثاق للخلق ، وأهدى صراط لكل إنسان . فهذه السورة تتضمن الغاية من الوجود :

- فالحمد لله وحده ولا حمدَ لغيره .

- وأَنَّ اللّه كَتَبَ على نفْسِهِ الرَّحمة وعلى عِبَادهِ أَنْ يتَرَاحَمُوا فيما بينهم .

- وأَنَّ الكُل مآله إلى اللّه ومرجعُه إليه .

- وأَنَّ الكُل مُحَاسبٌ على فِعْلِه فى الحياة الدنيا .

- وأنَّ العبَادة للّه وَفْقَ شَريعتِهِ ودينه الَّذِى نَزَّلَهُ على أنبيائَه ورُسُله انتهاءً بالرَّسُول الخاتم محمد وما عَدَا ذلك باطل وكفر .

- إن الاستعانة باللّه وحده ومَنَ يَستَعِنْ بغير اللّه فَقَد ضَل وأَشْرَك .

- إنَّ الهُدى هُدى اللّه ، وصراط اللّه فى كِتَابه واضحٌ جلىٌّ .

- إن من يُرِدْ نَعِيم اللّه يَجِدْه فيما شَرَع ونزَّل .

- وإنَّ من يُرد المفازَة فى الدنيا والآخرة فعليه أن يتجنَّب كل ما يُغضب اللّه وما نهى عنه ، وأنْ يَتَلَمَّس الهُدى والإيمان ، ويبتعد عن الضلالَة والكفر .

❖ وقرَاءة سُورة الفاتحة تعطى قارئها رصيداً من الحَسَنَات عند اللّه، هذا الرَّصيد يُوزن بمعايير رحمته سبحانه .

❖ فما بال من يعمل بها وما هو ثَوَابه عند اللّه ... ؟

❖ ويروى لنا الصحابى الجليل ابن عباس ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾ وقائع نزول سورة الفاتحة وفضلَها قراءةً وتدبراً . قال :

«بينما جبريلُ قَاعِدٌ عند النبى ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ سَمِعَ صوتاً كصوتِ فتح الباب من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا بابٌ من السَّماءِ فُتِحَ اليَومْ لم يُفْتح قطُّ إلاَّ اليَومْ ، فَسَلَّم (أى قال : السلام عليك يا رسولَ اللّه) ، وقال : أَبشِر بنورَين أُوتيتَهُمَا لم يُؤتَهُمَا نَبِىٌّ قبلك ...

- فاتحةِ الكتاب .

- وخواتيمِ سورةِ البقرة (أى نهاية سورة البقرة) ، لَم تُقْرأ بحرفٍ منهُمَا إلاَّ أُعْطيتَهُ .

فلماذا لا نَقْرَأ الفاتحة وننال ثواب الله وحسناته بقدر ما ينعم الله علينا بموازين عدله وإحسانه .... ؟

ولماذا لا نعمل بإعجازها ... لتستقيم أُمور الحياة ... ؟

❖ ولقد سُمِّيت هذه السورة سورةَ الفاتحة ، وأُمَّ الكتاب ، والسبعَ المثانىَ.

وهى الفاتحة : لأنها السورة التى افتتح بِهَا القرآن .

وهى أمُّ الكتاب : لأنَّهَا شاملة جامعة للأُمور الجوهريةِ فى الإيمان والإسلام .

وهى السبعُ المثانى : لأنَّهَا السورة التى تعاد وتكرر فى كل صلاة وفى كل ركعة فالمثانى تعنى التى تُثَنَّى : أى تُعاد .

والفاتحة تتضمن أعظم دعاء وهو : (اهدنا الصراط المستقيم) ، والمؤمن الذى يهتدى إلى هذا الصراط قد اهتدى إلى كنوز المعارف الإيمانية الآتية:

١- أَنْ يعرف الله ويُؤدِّىَ حقه .

٢- أَنْ يَقْرَأَ القرآن ويعمل به .

٣- أَنْ يُعادى إبْليس ولاَ يُوَاليه .

٤- أَنْ يُحب الرَّسول العظيم ويعمل بسنته .

٥- أَنْ يأمل فى الجنَّة ويعملَ صالحًا ليدخلها .

٦- أَنْ يَخَاف النار وينتهى عن الذُّنوب .

٧- أَنْ يعلم أَنَّ الموت حقٌّ ويستعدَّ لهُ .

٨- الاَّ يُفَكِّر فى عُيُوب الناس ويَنْسَى عُيوبه .

٩- أَنْ يَأكل من رزق الله حَلاَلاً ويَشْكُرَه .

١٠- أَنْ يدفن الموتى ويعتبر .

الفصل الثانى

سـورة البقـرة

وكنـوزها الإيمانيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى
لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣
وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن
قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ
هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾

«سورة البقرة من ١:٥ »

من يقرأ سورة البقرة ويَعِ ما أتت به الآيات الخمس الأولى يجدْ أنها رسالة رحمة ، ومنابعُ بركة للخلق جميعاً .

والله الرؤوف بعباده والرحيم بهم جعل رسالته لخلقه فى هذه السورة واضحة مؤثرة . فيها كل ما ينير للعاقل عقله ، ويطهر قلبه ، ويزين ملكاته.

والله يكتب رسالته بإصبع رحمته ، ويَزِنُ حروفَها ورموزها وآياتِها بموازين عدله . وكرمه . فتعالى الله وتقدس اسمه سبحانه .

وسورة البقرة توضح .

١- أن هذا القرآن الذى بين أيدينا نزل هدى لنا، وأوامرهُ ونواهيه فى مصلحة الخلق جميعاً فى كل زمان ومكان .

٢- أن القرآن معجزة الرسول محمد ﷺ

٣- أن الرسولَ محمد ﷺ هو النبى الخاتم، ورسالتُه هى الختام .

٤- أن القرآن نزل تكريماً للإنسان ولعقله الذى ميزه الله به .

- ويقول رسولنا العظيم عن سورة البقرة ، موجهاً وصيته إلى المؤمنين والصالحين :

«السورة التى يُذكر فيها البقرةُ فسطاط الرحمن فتعلموها فإن تعلُّمَها بركة» .

فلماذا لا نأخذ من هذا الفسطاطِ ما شئنا ... ؟

ولماذا لا نتعلم ونتبرَّك بكلام رب العالمين ... ؟

ولماذا لا نتجمل برموز الإيمان والتقوى والفلاح التى أتت بها آيات سورة البقرة ... ؟

فالله الذى خلق الإنسان فى أحسنِ صورةٍ أوجد له من القيم والمبادئ ما يزيد روحه جمالاً . ونفسه سمُوّاً .

فالإيمان قيمةٌ جمالية وسلوك روحى وهو تاج على جبين المؤمن .

❖ والإيمان نور يضئُ جوانح النفس .

❖ والإيمان الحقيقى هو الذى يَستمدُّ قدرتَه وطاقته من القرآن الكريم .

ذلك الكتاب الذى يحمل فى آياته القيم الجمالية السامية، ولا شك فى أنه نزل من عند الحكيم العليم . وهو الذى لا يتغير وهو الهدى للخلق إلى يوم الدين .

❖ فما أجملَ من يتزين بتاج الإيمان الصادق ... !

❖ ولكن ما معنى الإيمانِ فى شريعة الله ... ؟

❖ إننا نؤمن (نحن الأجيالَ التى لم تشاهدْ نبيًا بمعجزاتِه ، ولا رسولاً أتانا برسالته مؤيَّداً بقدرة من الله) بالغيبيات .

❖ بنو إسرائيل رأوا عصا موسى وهى تتحول إلى ثعبان مبين وعاصروا ضربه للبحر الأحمر بها فانشق عن معبر يابس عظيم عبروا إليه هروباً من فرعون، وكان كل فرق كالطود العظيم .

ومن شاهد وعاصر هذا كان من الضرورى أن يؤمن لأن ما رأه فوق مقدور البشر .

❖ ومن عاصروا عيسى بن مريم ورأوه يحيى الموتى ويشفى الأكمهَ والأبرصَ ويأتى بالمعجزات وَجَبَ عليهم الإيمان لأن براهين السماءِ واضحة مُؤكَّدة .

❖ ومن عاصروا النبى المصطفى محمداً ورأوا من علامات نبوته الكبرى كان من الضرورى عليهم جميعاً أن يؤمنوا ، فأدلة الرسالة السماوية واضحة ومظاهر النبوة مؤكَّدة .

والقرآن معجزة بالغةُ السموِّ لفظاً ومعنى ومن هنا فإن الأجيال التى لم تر معجزةَ نبىٍّ أو تعاصرْ رسالةَ رسول وتؤمن بالله الواحد الأحد وتؤمن بكل ما يأتيها به القرآن، وتتجملُ بزاد التقوى وتؤدى ما فرضه الرحمن عليها من عبادات وتؤمنُ بالرسالات السماوية جميعاً وبالأنبياء جميعاً وبأن هناك بعثاً بعد الممات وأن هناك يوماً للحساب ، هذه الأجيال فى منزلة إيمانية سامية لأنها آمنت بالغيب الذى لا يعلمه إلا الله وآمنت برسالة القرآن ونبيه المصطفى وما غاب عنها من كرامات النبوة ومعجزةِ الرسالة المحمدية .

وهذا هو قمة الجمال الإيمانى وهناك درجات أخرى من درجات الجمال الإيمانى فالمؤمن الراغب فى درجاتٍ أعلَى عليه أن يتزوَّدَ بالآتى :

أولاً : أن يعرف قيمة نفسه وطبيعة خِلقَتِه وحجم إدراكه .

ولهذا يقولون : رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

ثانياً : أن يعرف أن الله الخالق إدراكُه فوق إدراك الخلق والمخلوقات جميعًا.

ثالثاً : أن يتزين بحقيقة إيمانية حول الغيب وأن يؤمن بأن الغيبَ أمرٌ يخص الله فلا يجب أن نتجاوز الحدود ونضيِّع الوقت والقدرات فيما ليس لنا به علم .

رابعاً : أن يتجمل بحلاوة الصلاة التى تجعل الحب الإلهى يسكُن القلوب، هذا الحب الذى يُطهِّر الأرزاق ويجعل من الرزق القليل روضة للنفس الراضية ويجعل من الرزق الوفير مظلة حب يستظل بها الغنىُّ والفقير والقادر وغير القادر .

أليس من الجمال أن يحسَّ الإنسان بأن الروح التى تتجمل بالإيمان لها ثوابها وأن التى استسلمت لزيف وسوسة الشياطين خسرت ... ؟ ففى يوم الحساب تزدان النفوس المؤمنة بجمالِ التقوى وزينة الهدى .

أليس من الجمال أن يُحِسَّ الإنسان أن جماله قائم على عقيدة لا إله إلا الله التى جاءَ بها الرسل جميعاً من يوم أن خلق الله الأرض وحتى يرثها... ؟

ثم إنه على النقيضْ تأتى الآيات التالية بتصوير بليغ لسمات الرافضين للجمال العقائدى ، والناكرين للسمو الخلقى من الكفار والمنافقين .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

« سورة البقرة من ٦ : ١٧ »

الوصف القرآنى للكفار

لقد خص الله الكفار بأقبح الأوصاف التى تحرمهم من نعم الجمال الإلهى الذى أنعم به على خلقه فهم الضالون لأنهم ضلوا ضلالاً ملأ قلوبهم ظلاماً وسواداً ولم تعد آذانهم تسمع إلا وساوسَ الشيطان ولا ترى أعينُهم إلا زينةَ الحياة الزائلةِ وهم كذلك كذابون يَدَّعون الإيمان زيفاً .

- فقلوبهم مريضة .

- وهم مفسدون فى الأرض .

- ويرَوْن أن كلَّ مؤمن سفيه .

فهم قد استكبروا عن الحق قولاً وعملاً ، فلا يصل إلى قلوبهم وأسماعهم وبصائرهم النورُ الإلهى الممثَّلُ فى آيات القرآن ..

الوصف القرآنى للمنافقين

المنافقون هم أشد خطراً على الأمة الإسلامية من الكفار لأن الكافر يعلن كفره ويُظهر نواياه العدوانية . دائمًا .

ولكن المنافق يمتلئُ قلبُه بالكفر والضلال ويعلن غيرَ ما يُبْطِن ، ويقول غيرَ ما يفعل ، ويصادق وهو عدو حقيقى ، ويخفى غير ما يُظهر ، والمنافق مخادع ، والمنافقون قلوبُهم مملوءَة دائماً بالغيظ والحسد والشك حتى أنهم عَمُوا عن إدراك أبسط الأشياء .

- وهم لهذا يمثلون الخطر الداهم على الناس وهم الخِنْجَرُ يصوَّب إلى ظهور الأمم والأوطان ، والنفاق ينشأ عن جبن ولؤم ولهذا فالمنافقون مفسدون ويجب الحذَر منهم وكشفُهم ومعرفةُ الاعيبهم ومفاسدهم .

- والله وصفهم حتى نعرفهم وحذَّرنا من الاستماع لهم والانقياد لأهوائهم والمنافقون فى كل عصر يتوجهون حيث تكون مصالُحهم وشهواتُهم، وهم دائمًا صُمٌّ عن الحق فلا يسمعون إلا أهوائَهم، وبُكْمٌ عن

الكلام إلا حيث أطماعُهم، وعُمْىٌ لا يرون إلا خطوات شياطينِهم فهم مع المسلمين مادام لهم من ورائهم مكاسب ومغانم ، ومع غيرهم لو كانت مصالحهم واحتياجاتُهم الدنيويةُ عندهم .

ولهذا فإن آيات القرآن العظيم أحكَمت وصفهم حتى يعلم المسلمون صفاتِهم فيحذرونهم ويحتاطون من شرورهم .

وكذلك حتى يتأدب المسلمون بآداب القرآن التى تحيى موات النفوس فلا ينافقون ولا يكفرون ، وأن يتزينوا بالإيمان الذى يمثل الشعلة المضيئة فى داخل نفس الإنسان إن حافظ على ضوئها أضاءت له العقل والقلب فاهتدى وإن نسى هذه الشعلة عصياناً أو نفاقاً أظلمت نفسه وأعتم قلبه وأصبح كالأصم الذى لا يسمع الهدى والأبكم الذى لا ينطق الحق ، والأعمى الذى حُرِم جمال الوجود .

ويعبِّر القرآن عن الركن الرئيسى لعبادة الله وتوحيده لأنه الواحد القادر الذى منه النِّعم ، ثم يخاطب الذين فى قلوبهم شك فى جلال الله بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن إن استطاعوا ولن يستطيعوا لأنهم فقدوا ركناً أساسياً من جَمال النفس ومصداقِيتها . **قال تعالى :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

« سورة البقرة من الآية ٢١ : ٢٣ »

والمصداقية هى مفتاح الإيمان بالحق والخير، وصادق الإيمان لابد وأن يؤمن بأن رسالة الإسلام السامية جاءت للخلق جميعاً من الأزل إلى الأبد .

والدعوة للإيمان موجهةٌ إلى الناس جميعًا الذين يؤمنون بأن الله خلقهم كما خلق آبائهم وأجدادهم وجعل الأرض مسكناً ، لهم فيها رزقهم ومعاشهم ، ثم فوقهم السماوات بشموسها وأقمارها ونجومها وكواكبها ومجالاتها ، تمد الأرض بالماءِ الذى يُحيى كل شئٍ عليها ويوفر فيها الرزق والثمر .

فهل هناك من يُعْبَدُ غير الله الذى خلق كل هذا وغيره مما لا يعرفه الناس؟

وإذا كان هناك من يقول إنه إله أو إنه نبىٌّ لله فلن يُطْلب منه سوى أن يأتى بسورةَ أو آيةٍ تماثل آيات القرآن ، وهذا التحدى للكفار جميعًا فى كل زمان وأوان .

فهل يستطيع بشر أن يقول كلاماً مثل كلام الخالق سبحانه ... ؟

وتحكى لنا كتب الأقدمين بعض تخاريف الكفار ومن ادعوا النبوة ومن زين لهم الشيطان ووسوس لهم كى يتحدوا القرآن ويقولوا ما يشابهه .

ولهذا فلقد كابر أبو جهل عندما فقد مصداقية فطرته التى فَطر الله الناس جميعاً عليها فعادى الله ورسوله ، وادعى بأنه وأشياعه قادرين على أن يأتوا بما يماثل القرآن ، فجاءت تخاريفه الآتية :

فى أيام الرسول الأعظم محمد بن عبد الله وحينما نزلت سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾

جاء أبو جهل ، بتخريف يتحدى محمداً وقرآنه .

وقال : أنا أقول وآتِى بسورة مثل الذى يقول محمد .

واجتمع اللاهون والمنافقون ليسمعوا هذا الهوس .

وقال أبو جهل : إنَّا أعطيناك الوحواحْ ، فصلْ لربك وانتاحْ ، وإن شانئك هو العجِل النطاح .

فلننْظُر هذا الهوس والسفَه ولنفرق بين قرآن ... يقول لنبيِّه ، يا نبى الله إننا أعطيناك وخصّصنا لك الكوثر وهو نهر فى الجنة فيه وحوله وعلى شاطئيه مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر .

فَصَلِّ لله شكراً وحمداً ، واذبح ، وأطعم الفقراءَ والمساكين ، ولا تبال بهؤلاءِ الحاقدين الذين شمِتُوا فى موت ابنك إبراهيم ، فهؤُلاءِ ليس لهم عندنا فى الآخرة إلا العذاب المهينُ .

قرآن فيه من القدرة الإلهية والصور الجمالية للثواب والعقاب والخير والشر ما هو فوق الإعجاز .

بينما أبو جهل يقول لصنمه وإلهه كلامَ الدجلِ والتخريف والهواجس .

وأبو جهل فى كل العصور يقول ما يهوى ويزين لنفسه ويوسوس لها افتراءاتها فيحلل ما يحب ويحرم ما يكره .

وشتان بين قُبح الكفر وجمال الإيمان .

ومثل أبو جهل جاءت سَجَاحَ وَجَاء مسيلمة الكذاب .

هذه قصة قصيرة بطلتها سَجَاحُ بنت الحارس ، وهى من قبائل تميم العربية التى كانت قبل الإسلام وفى عهد الرسول الكريم من القبائل ذات الحسب والنسب ، وكانت هذه القبائل لها منازلها التى تمتد من شرق المدينة المنورة إلى الخليج العربى إلى الشمال الشرقى من نهر الفرات فى العراق.

ومثلما تفعل القوى الكبرى المعاصرة فى تحديها للإسلام ، وحتى لا يقوى ويقضى على مصالحها فى السيطرة على البشر ، فعلت إمبراطورية فارس التى كانت قوية فى زمان الرسول التى بدأت تنهار مع قوة الإسلام وتعاظم شأنه .

فاختارت فارس سَجَاحَ بنت الحارث بعد وفاة النبى ﷺ وكانت امرأة ذكية رائعة الحسن تدّعى الكهانة ، وتعرف كيف تقود الرجال .

واختارتها فارس وأرسلتها فى جماعة كبيرة من أهلها ومن القبائل الموالية لفارس لغزو المدينة ولقتال أبى بكر خليفة رسول الله .

ودخلت فى معركة مع بعض القبائل على حدود بنى يربوع ولم تنتصر ولم تنهزم ، وانتهت إلى أنه لا نصر على الإسلام فاختارت أن تذهب إلى اليمامة حيث مسيلمة الكذاب الذى يدعى أنه نبى .

وقالت لجنودها إن الوحى قد أتاها وقال :

«عليكم اليمامة ، ودفوا دفوف الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقنكم بعدها ندامة » .

وتزوجت سَجَاحَ بمسيلمة الكذاب وكان صداقها أن أعفى مُسَيْلِمَة ، التابعين له من صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وتوالت أكاذيب مُسَيْلِمَة بعد أن تزوج سَجَاحَ وأنهى ادّعاءاتها بالنبوة حتى عادت سَجَاحَ إلى أهلها ، وبعدها قُتِل مُسَيْلِمَة الكذاب فى غزوة لخالد بن الوليد .

فشعلة الإيمان تضئ النفس وتُخلّدها ، أمّا ظلمة الكفر فَتُعتم قلب النفس وتهلكها .

وهذا هو كاذب آخر طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة وادعى أن الوحى يأتيه وعندما نقرأ وحيه نجد عجباً فيقول :

« والحمامِ واليمامِ ، والصُّرَدِ الصَّوام ، قد صُمنَ قبلكم بأعوام ، لَيبلُغَنَّ ملكنا العراق والشام » .

كلام لا يُقرأ وتخريف لا يُقْبَلْ .

ويأتى التحذير الإلهى لكل البشر بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بسورة واحدة مثيلةٍ لسور القرآن الكريم.

ويحذر من عاقبة المحاولات والتفكير فيها لأن نهايتها الفساد .

ويُبشر الله سبحانه المؤمنين بالجنة خالدين فيها ومنعمين نعيما بلا حدود .

فهذا هو فردوس القرآن الذى تزخر مناجمه بالكنوز التى تزين النفس المؤمنة وتُجَمِّلها .

ويضرب الله للناس الأمثال فالمؤمن تُزيده الأمثال يقيناً ، وأما الكافر المكابر فما تُزده الأمثال إلا تشككاً وخسارة .

لماذا يضرب الله الأمثال للناس ...؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ۠ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٦: ٢٧»

الله عالم بخلقه وتكوينهم وطبائعهم ، يُقرِّبُ لهم الأشياء كى يفهموها ، ويدركوها ، فقد يضرب لهم الأمثال ببعوضة وهى من أصغر المخلوقات ، أو بأكبرَ منها للاستدلال على قدرته ، فالمؤمنون يرون الحق كلَّ الحق فى قوله وفى أمثاله عز وجل .

أما الكافرون فيتخذون من هذه الأمثال تشكيكاً وتهويناً من شأن القرآن وعظمته ، وهم الخاسرون ويصور القرآن الخاسرين فى لوحة دنيوية تُظْهِر افتقارَهم للأخلاق. فانتزع من الخاسر حبَّ الله وحب الناس له ، وذلك لأنه ينقض العهدَ الإلهى بالإيمان والطاعة والأمرِ بالمعروف والنهى عن المنكر خاصة وأن ميثاق الله واضح فى كتبه السماوية جميعاً .

وأيضاً خسر مَنْ لا يصل ذوى القربى ، واليتامى والناسَ جميعاً بالحب والمودة والرحمة ويعيث فى الأرض فساداً .

فهذا خاسر فَقَد جمال الخُلُقِ وانطفأ فيه نور الإيمان .

والخاسر لو تَدبَّر بعقله لعلم أن الله الذى خلقه من عدم ثم يميته سيبعثه يوم القيامة للحساب ، وعلم أن الله هو خالق كل شئ فى الأرض وفى السماء ، وآمن أن الله فوق سبع سماوات يرى ويسمع ويراقب ، ويَرزق ويُنعم ، وعلم أنه سوف يموت ويضمُّه القبر ولا ينفعه إلا عمله ، وأن الخسران مهانة فى الدنيا وعذاب فى الآخرة .

الفصل الثالث

قصة خلق آدم

وغواية الشيطان له ولحواء

يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

«سورة البقرة الآية ٣٠»

خلق الله الكون كله فى ستة أيام وعمَّره بمخلوقات لا يعلمها إلا هو، والأرض التى نعيش عليها هى جزء من هذا الكون ، قُبل أن يخلقَ اللهُ آدمَ ليعمِّر هذه الأرض كانت الأرض معمورة بالجن الذين أفسدوا فيها ، والجن مخلوقات لله خلقها من نار .

وهى قادرة على التشكُّل بأشكال متغيرة إنها مخلوقات تستطيع أن ترى الإنسان ولا يراها ، وخلق الله لها العقل والشهوة وصورًها فى صورة يعلمها الله سبحانه وتعالى وهى تتناسل وتتكاثر مثل الإنسان وتسكن الأرض والبحار . ولمَّا أفسدت الجنُّ التى سكنت الأرض بعث الله إليها من ملائكته من دمَّرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال وطهر الأرض من الفساد والضلال الذى أصابها.

والملائكة هم خلق الله الذين صورهم من نور وهم عابدون مسبِّحون لله وخَلَقَهم (سبحانه) فى صورة كريمة تعصمهم من الخطأ فلا يوجد فى

تكوينهم الشهوةُ التى هى مصدر الخطأ ومفجِّر الأهواء ، وصورة الملائكة يصفها لنا الرسول العظيم محمد بن عبد الله حينما نزل عليه جبريل ﴿عليه السلام﴾ أول ما نزل بالوحى على صورته الملائكية التى لم يحتمل مشاهدتها رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأُغمى عليه .

فجبريل ﴿عليه السلام﴾ رآه النبى يملأ الفضاء وله ستُّمائةِ جَناح ، وتقص لنا أيضاً كتب التراث كيف أن جبريل رفع بجناح واحد من أجنحته الستِّمائة قومَ ثمودَ وديارَهم وقلب بهم الأرض رأساً على عقب فى عذاب شديد بما كانوا يكفرون .

وهذه صورة توضح هيئةَ الملائكة وهم المسبِّحون لله ومنهم الحفظة على المؤمنين يحرسونهم ومنهم من يسجل أفعال العباد ومنهم خَزَنَةُ النار ومنهم حراس الجنة ومنهم حَمَلَةُ العرش ومنهم الوسائط بين الله وبين الناس فهم خلق مكرمون معصومون .

ولَمَّا شاءَت عناية الله خلق آدم ليعمُر الأرض بالبشر قال لملائكته الكرام إنى جاعل فى الأرض خليفة وهو ذلك الإنسان الذى خلقته من طين وخلقت فيه عقلاً يزين هيئَته وقدراته، ويدعوه إلى المعرفة والطاعة ، وخلقت فيه قوة شهويَّة وغضبية تدعوه إلى الفساد وسفك الدماء .

فمن شدة إجلال الملائكة وتقديسهم لله وعلمهم بما فعل الجن سابقاً فى الأرض من الفساد أوضحوا بقدر علمهم الذى هيأه الله لهم بأن شهوةَ هذا المخلوق الآدمى مدْعَاةٌ للإفساد والمعصية وأنهم يخشون عدم قدرة هذا المخلوق على حمد الله وتعظيمه وإجلاله وخوفَهم من أن يُفسد فى الأرض ويستحل ما لم يحله الله له فأعلمهم ربهم أنَّه مُقَدِّرٌ لهذا المخلوق رسالةً محدودة بعلمه وقدرته . ثم إن الله خلق آدم وعلَّمه علْماً ينفعه كى يُعَمِّرَ الأرض ويتعايش معها .

وفى شهود من الملائكة تفوُّقَ آدم فى إبراز ما أكرمه الله به من علم ومعرفة فأمرَ الله ملائكته بالسجود له إجلالاً لقدرة الله وتعظيماً لمشيئته فأطاعوا وسجدوا إلا إبليس الذى خالف أوامر الله ولقد أسكن الله آدمَ

وحواء الجنة وأمرهما بالحياة فى هذه الجنة كزوجين كريمين وأحل لهما الخيرات ما شاءا ورغبا ، وحرَّم عليهما فعلاً من الأفعال أو الاقتراب من شجرة معينة .

إلا أن الشيطان الذى رفض السجودَ لأدم أغواهما وهيأت إرادة الله له أن يزين لهما المحرماتِ حتى يختارا ، فإما أن يريا الخيرَ بعقليهما وفطرتهما فينالا رضا الله ، وإما أن يُحبِّا زخرفَ الشيطان ويكون عليهما الإثم ولهما الجزاء . واستطاع الشيطان أن يوسوس لهما ليعصيا ربهما ، ولكن الله الرحمن التواب تَقبَّل استغفار وتوبة آدم ، وأهبطه من نعيم الله الدائم إلى نعيم دنيوى زائل فيه اختيار بين المحلَّل والمحرم ، وفيه اختيار بين الهدى والضلال ، فمن اتبع هدى الله أرتد فى الآخرة إلى النعيم المقيم ومن ضلَّ وغوى خَسِرَ الدنيا وخَسِرَ الآخرة .

قصة تعمير آدم للأرض :

هبط أبونا آدم إلى الأرض وهبط وراءَه الشيطان الذى طُرِدَ من رحمة الله.

وفى نفس هذا الشيطان اللعين ألا يترك آدم وذريته على عبادة الله بل صمم على إغوائِهم ودفعهم إلى معصية الله ليغضب عليهم، ويطردهم من رحمته كما غضب على الشيطان وطردَه من رحمته .

وبدأت رسالة آدم فى الأرض ودورُه المقدرُ فى تعميرها .

وبدأت رحلة البحث عن القوت والرزق .

وكان آدم وزوجته حواء عريانَين فنزل جبريل ﴿عليه السلام﴾ وعلم آدم نسج الملابس ليستر جسمه وجسم حواء .

واستقر آدم وزوجته فى الأرض وأنجبا أولاداً كثيرين ، فكانت حواءُ تلد كل مرة توأمين بنتاً وولداً .

وكبر وكثر أولاد آدم وبدأت ثمار تعمير الأرض كثرةً فى الخَلقْ وإرادة البحث عن الرزق بالجهد والعرق والعمل وإرادة الحياة على الحب والخير .

إلا أن الشيطان لم يَهْنَأْ لهذه البداية الآدمية التى تقوم على الطاعة والإيمان والحب والسعادة .

وساوس الشيطان وقتل أول بشر فى الأرض :

اختار الشيطان وقتاً يستطيع الوسوسة فيه والكيدَ لبنى آدم فعندما أراد آدمُ أن يوزع الأعمال بين أبنائه سأل هابيل و قابيل فى أن يختارا بين زراعة الأرض ورعى الغنم .

قال هابيل : يا أبى سل قابيل ليختارَ فإن اختار إحداهما اخترت الأخرى .

هنا وسوس الشيطان لقابيل لا تكن راعياً يجرى وراءَ الغنم فى الحر والبرد ، وأى قيمة لصاحبة الغنم ، كُنْ زارعاً حاصداً للزرع والخير .

واستجاب قابيل للشيطان وقال لوالده: يا أبتِ لقد اخترتُ الزراعة.

ورد هابيل: وأنا رضيتُ بالرعى، وأخلص فى رعاية غنمه وتنميتها باسم الله وأخلص العطاءَ من اللحم واللبن والصوف المنسوج لأهله وإخوته فأحبوه وأعَزُّوه.

أمَّا قابيل فقد زيَّن له الشيطان الكسل وحبّبَ إليه البخل فإذا قام إلى عمل أداه كارهاً ، وزرع وحصد وبخل بمحاصيله على إخوتِه وأهلِه وإذا سأله أحد شيئاً تباطأ ونهرَه أو طرده وإن أعطى وهو كاره أعطى أرْدأ ما عنده وبارك الله فى هابيل وأغنامِه وكثر خيرُه له ولأهله وقلَّت البركةُ عندَ قابيل لكسله وبخله ، وإذا نصحه أبوه أعرض عنه ولم يسمع له .

زهور الحب وأشواك الكراهية فى نفوس البشر :

وبقدر الحب الذى نعم به هابيل من أهله ، كانت الكراهية تزداد لقابيل ، وأحس قابيل بحب أهله لهابيل وحبُّ آدم لابنه الطيب الكريم المجتهد ، وبدأ الشيطان يوسوس بالحقد والكراهية والحسد فى قلب قابيل على أخيه هابيل ويزن له الأسباب التى تبين له أن الحب الذى ينعم به هابيل سببه تفضيل أبيه له .

وهكذا أفسد الشيطان قلب قابيل على أبيه وأهله ، وأصبح قابيل صديقاً للشيطان إذا أمره بالبخل أطاعه وإذا أمره بالكسل سمع له وإذا أمره بالحقد والكرّاهية استجاب وإذا نصحه أبوه لم يسمع له .

الوسوسة الكبرى للشيطان :

وحانت للشيطان لحظة وسوسة كبرى فقد آن الأوان لزواج الابنين هابيل وقابيل وكانت شريعة الله تقضى بأن يتزوج الابن من أُخت أخيه التى ولدت معه. بمعنى أن يتزوج هابيل بالأُخت التى ولدت من بطن واحدة مع قابيل، وكذلك قابيل عليه أن يتزوج من أُخت هابيل .

إلا أن التى ولدت مع قابيل جميلة وهى التى تحل لهابيل، والتى ولدت مع هابيل ليست جميلة وهى التى تحل لقابيل .

هنا جاء الشيطان ووسوس لقابيل بأن أباه يريد أن يحرمه من الزواج من أُخته التى ولدت معه فى بطن واحدة لكى يزوجها لهابيل الذى يحبه وحتى يُزوِّج قابيل أُخت هابيل القبيحة .

وهاجت مشاعر الحقد فى نفس قابيل وذهب لأبيه آدم وسأله لماذا يريد أن يزوجه من أُخت هابيل ويحرمه هو من أُخته التوأم التى ولدت معه ...؟

فقال له آدم : هذه شريعة ربى وهذه أوامره بأن أُزوج كلا منكما أُخت الآخر لا توأمته.

فقال قابيل : أيها الشيخ إنك تظلمنى وتفضل علىّ هابيل ....

فقال آدم : يا بنى الأمر لله وحده وهذه شريعته وإنك سوف تُهلك نَفْسَك بمخالفتى ولن تجنى من ذلك إلا غضبَ الله وعقابَه فى الدنيا والآخرة .

وإن كنت فىَ شك من أمرى فإننى أدعوك إلى أمر إلهى تعرف فيه حكم الله فى أمر زواجكما، وهو أن يُقدِّم كلٌ منكما قرباناً لله ، فمن يُقبَلْ قربانه يتزوجْ الأختَ الجميلة .

يوم القربان :

وعلم أبناءُ آدم جميعاً بيوم القربان .

وبدأ الأخوان قابيل وهابيل بإعداد القربان واختياره .

أهمية الرضا والقناعة :

وَمَنْ ينظر إلى تصرفهما فى الاختيار يعلم تماماً قيمة القناعة وفائدة الحب الإلهى وأَهميةَ رضا الناس ونعمةَ الثقة فى الله وأَهميةَ القيم الدينية والروحية ثم أَهميةَ أن يستخدم الإنسان عقله بالحق .

فانظر إلى هابيل الذى صار يُقَلِّب غنمه وكلما اختار كبشاً اسْتَصغره وقال لنفسه هذا شئ حقير لا يليق أَن أَقدمه لربِّى وظل فى صراع حتى انتهى إلى كبش كبير سمين ومضى إلى مخازنه فاختار لبناً وزبداً وسمناً وكل ما شاءَ ليُجَمِّل به عَطَاءه لربِّه راضياً مرضياً .

أما قابيل فذهب إلى مزارعه وكلما وجد ثمراً طيبًا قال هذا للذتى ومُتْعتى إن الله غَنى عنه ويرضى منى بالقليل وجمع قربانه وكأنه يقتطع من جسمه وحَملَهُ حزيناً كارهاً .

وفى يوم القربان اجتمع بنو آدم جميعاً وحضر آدم وقابيل وهابيل وبنو آدم لينظروا قربان قابيل الهزيل وقربان هابيل الطيب ويوازنوا بينهما ... ويتحدثوا بكرم هذا وببخل ذاك ويتعاطفوا بقوة مع هابيل، والخزى لقابيل ونادى آدم الجميع إلى جبل مرتفع وعلى قمة الجبل قُدِّمتْ القرابين ، وقال هابيل هذا قربانى أقدِّمه باسم الله وبعده قابيل .

وإذْ بغمامة حمراءَ تهبط من السماءِ ، وعندما اقتربت من الأرض تَدلى منها ما يُشْبِه العُنُق وامتد نحو القربانين : تأمُّلاً ومُقَارنة .
وفجأة التهمت الغمامة قربانَ هابيل الذى زَرَعَ بتقوى الله وحَصَدَ بحمد الله وقدَّم لرضا الله فَتُقُبِّلَ منه وارتفعت الغمامة وغابت فى السماء معلنة حكم الله وتبريكَه لهابيل .

ودهش بنو آدم وحمدوا الله إلا أَن قابيل الذى ازداد بوسوسة الشيطان غيظاً وحقداً أخفى فى نفسه أمراً عظيماً .

الصراع بين الخير والشر :

بدأت وسوسة الشيطان تزْداد حِدة وعنفاً وأوحى الله لآدم أن يفارق أهله فترة من الزمن ، وأن يسعى فى الأرض وبدأ الصراع بين الخير والشر ، فكان هابيل يحمل لواءَ الخير والسلامِ والحب ، وقابيلُ يحمل معاولَ الشر والفساد والحقد ، يدفعه الشيطان دفعاً وبقدر ما يَزداد الخير والبركة والحب بكفة هابيل ، يزداد الشحُّ والبخل وقلة البركة بكفة قابيل وتزداد علة الحقد فى نفس قابيل ويستعين بالشيطان ذلك العدو الذى يكيد لبنى آدم كيداً وأوصاه أن يقتل أخاه ووسوس له أن يسارع بقتله قبل أن يعود آدم من سعيهِ فى الأرض ، واستطاع قابيل أن يلقى بصخرة على رأس هابيل وهو نائم فقتله ، وكان هذا أولَ قتيل من بنى آدم .

ولم يكن قابيلُ يعرف كيف يدفن أخاه حتى أرسل الله له غرابين تقاتلا حتى قتل أحدهما الآخر ثم نبش فى التراب حفرة دفنه فيها وواراه التراب ففعل قابيل مثله .

القصاص الإلهى :

إلا أن شريعة القصاص هى منذ بدء الخليقة حتى يوم القيامة .
فمن قتل يقتل ، ثم إن القصاص هو الحياة .

وتخيل قابيل لعنة السماء عليه ، والأرض عبوس فى وجهه والكون قد أظلم فى عينيه والوجود حزين يلعنه ، وطاردته الوساوس والظنون حتى الشيطان تنكر له وتبرأ منه وقال : إنى أخاف الله رب العالمين .

وفقد قابيل اتزان عقله ، وهام فى الأرض خوفاً ورعباً وبينما يسير على حافة جبل عال إذا بصوت يناديه وصورة هابيل تتمثل أمامه ، ففزع واضطرب فسقط من أعلى الجبل إلى قرار بعيد فتهشم رأسه كما هشم رأس أخيه هابيل . وكان ذلك جزاء الظالمين .

وكان القصاص عدلاً وحياة وعبرة للعالمين .

الباب الثانى

الفصل الأول

قصة بنى إسرائيل فى مصر

الفصل الثانى

الموازين العادلة للإيمان

الفصل الأول

قصة بنى إسرائيل فى مصر

قال تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات من ٤٧ : ٥٣»

أصل بنى إسرائيل وأسباب أسمائهم :

تكونت أمة بنى إسرائيل ونسبت إلى أبيهم « يعقوب » ﴿عليه السلام﴾ ولقد سُمُّى أيضا « بإسرائيل » :

وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من « إسرا » بمعنى عبد أو صفوة ومن (إيل) وهو الله فيكون معنى « إسرائيل » عبد الله أو صفوة الله .

ولقد رُزِق يعقوب إثنى عشر ولدا .

فمن زوجته ليئة رزق ستة ذكور هم رءوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويَسَاكر وزبولون .

ومن زوجته راحيل رُزِق اثنين هما يوسف وبنيامين .

ومن زلفا الجارية رزق إثنين هما جاد وأشير .

ومن جاريته بلها رزق إثنين هما دان ونفتالى .

ولقد سُمُّوا يَهُودًا فيما بعدُ أيامَ سيدنا موسى وذلك لأنهم عبدوا عجلا صنعه السامرى لهم من الذهب فى الوقت الذى كان موسى يتلقَّى وحى ربه على جبل الطور بسيناء .

ولما عاد وجدهم قد عبدوا العجل ونفَّذ فيهم حكم الله فتابوا عن هذا الشرك وقالوا إنا هدنا إليك أى تُبنَا ورجَعْنا .

فلقد سُمُّوا يهودًا أى التائبين فى لغتهم ، هذه هى أسماؤهم وأسبابها .

مقدمُهم إلى مصر وأسبابه :

لما حل بفلسطين المجاعة الكبرى فى القرن التاسعَ عشرَ قبل الميلاد وأجدبت الأرض وجف الزرع أرسل يعقوب أبناءَه إلى مصر ليحصلوا منها على ما يلزمهم . خاصة وأنهم قَدْ سمعوا عن وزيرها الأمين على الخزائن

والأمين على أرزاق العباد ، ولقد أكرم وزير مصر هؤلاء الناس بعدما عرفهم وعرف أنهم إخوته الذين ألقَوْا به فى ظلمات البئر .

ولقد طلب منهم أن يحضروا جميعا ومعهم أبوهم يعقوب وحضروا إلى مصر وكان عددهم ستا وستين نفسا سوى نسوة أولاده (سفر التكوين الإصحاح السادس والأربعون) هنا تَبدأُ قصة بنى اسرائيل فى مصر .

فعندما القى إخوة يوسف به فى البئر التقطه أحد السائرين فباعه فى مصر بدراهم معدودةً ، وشاءَ الله أن يعيش ويتربى فى بيت عزيز مصر وهو وزير كبير .

وتوالت الأحداث بعد أن أصبح شابا جميلا قويا ، وحاولت زوجة العزيز أن تُغرىَ يوسف بجمالها وتفتنَه فيرتكبَ ما يغضب الله .

إلا أن قوة إيمان يوسف بالله حصّنته ضد إغرائها فرفض وكان نصيبُه أن سُجن ظلما .

خروج سيدنا يوسف من السجن :

خرج يوسف من سجنه بعد أن علم فرعون ببراءَته وبمشيئة الله وحكمته أصبح يوسف عزيزا لمصر بعد أن فسَّر حلم فرعون وقال له إن مصر سوف تشهد سنوات سبعًا مخصبة تتلوها سنوات سبع مُجدبة .

وكان حكيما ملهما فى إدارة شئون البلاد والعباد .

حتى أن شعوب الأرض المجاورة التى تعرضت للجفاف وقلة المحاصيل أَتَتْ إلى مصر لتحصل على ما يعينها على الحياة من خيرات ورزق .

وكان بنو إسرائيل وهم أبناءُ يعقوب الذين كادوا له ورموه فى البئر من بين هؤُلاء الذين قدموا ليحصلوا على ما يحتاجون .

وإرادة الله فى الأرض هى التى جعلت قلب يوسف نقيا لا يعرف الحقد أو الانتقام .

وعندما وقفوا بين يديه فى المرة الثالثة أعطاهم ما أرادوا وطلب منهم أن يأتوا بأبيه وأهله وأبنائهم جميعا ليعيشوا فى خير مصر وبركاتها .

موكب نبى الله يعقوب فى مصر:

وأقبل موكب بنى إسرائيل من أرض فلسطين إلى مصر ، وكان عددُهم ستا وستين نفسا سوى نسوةِ أولاده .

واستقبلت مصر كلُّها وعلى رأسها يوسُفُ الصدِّيق وفرعونُ مصر بنى إسرائيل استقبالا كريما وأسكنهم الفرعون أرض جاسان - وهى حاليا منطقة « صفت الجنة » فى محافظة الشرقية - فى أرض من أخصب الأرض وأطيبها تكريما لنبى الله يعقوب المسمى « إسرائيل » .

وطابت لهم الحياة فى مصر يعبدون ربهم أحرارا طلقاءَ .

الطبع والتطبع :

إلا أن بنى إسرائيل قد غلبت عليهم طبائع الشرِّ فكانوا دائما مع المصريين وقتَ الخير أما وقت المصائب أو المحن فكانوا يتنكرون .

وكانوا يحاولون دائما خلال فترة بقائهم فى مصر من عهد يوسف إلى عهد سيدنا موسى - وهى حوالى ٤٢٠ عام - يحاولون السيطرة على وسائل العيش وفرضَ سلطانهم وإفقارَ الشعب والوقوفَ مع الأعداء الغزاةِ أمثالِ الهكسوس ضد مصلحة المصريين . وهكذا كبر بغضُ وكُرهُ المصريين لهم .

حتى أن فرعون مصر من شدة كراهيته لأفعالهم ومساوئِ أشرارهم أمر أن يقتل كلُّ طفل ذكر يولد من بنى إسرائيل حتى يوقف تكاثرهم وكذلك حتى يقضى على نبوءَة تقول : «وإنه سوف يولد من بنى اسرائيل من يقضى على فرعون وملكه » . وكان عذاب فرعون لبنى إسرائيل غليظا .

مولد سيدنا موسى فى مصر :

إلا أن موسى ولد من بنى اسرائيل ، وخافت عليه أُمه فوضعته فى صندوق خشبى وألقته فى نيل مصر ويَلْتقِطُهُ بمشيئة الله جنود فرعون ، ويَرق قلب زوجة فرعون التى لَم تلد ولدا وتطلب من مليكها أن تربيه ليكون قُرَّة عين لهما .

ويكبِّر موسى وينزل الوحى الإلهى عليه ليخلِّص بنى إسرائيل من الشر الكامن فى نفوسهم وينقذهم من ظلم فرعون وبطشه ، ويخرج بهم من مصر ويغرق من خلفهم فرعون وجنوده فى البحر .

ويخلصهم نبى الله موسى من الذل والعبودية والقتل ويقودهم إلى الحرية والإيمان .

نعم الله على بنى اسرائيل :

ولقد كرّم الله بنى إسرائيل وأنعم عليهم نعما خالصة .

فلقد جعلهم خير أُمم الله فى زمانهم وانزل فيهم أنبياءَ كثيرين لهدايتهم وأنجاهم وأغرق أمام أعينهم فرعون وجنوده فى البحر وأنزل فيهم التوراة لتكون هداية لهم . وهنا يقف القرآن ليدعو بنى إسرائيل لأن يتذكروا نعم الله عليهم ، وأن يحمدوا الله ، وأن يُوفوا بعهود الإيمان بالله وطاعته والتصديق برسله وكتبه السماوية ، وأن يتوقفوا عن خلق الأكاذيب ولا يكتموا الحق .

وأن يتقوا الله بصلاة يخشعون فيها لله وحده ، وزكاة مفروضة على القادر منهم ، وألا يأمروا غيرهم بأفعال الخير والبر والإيمان ويتجاهلوا أنفسهم أو يتعالوا ويفسدوا وأن يكون إيمانهم خَشْيةً لله وحده وخَشْيةَ يوم الحساب الذى لا ينفع أحداً فيه فديةٌ من مال ولا شفاعةٌ من أحد إلا عملَه الصالحَ وتقواه وإيمانه.

خـــروج بنى إسـرائيـل من مصـــر:

عاش بنو إسرائيل بمصر منذ أن قدموا إليها مع أبيهم يعقوب - إسرائيل - فى عهد سيدنا يوسف ﴿عليه السلام﴾ حينما كان عزيزا لمصر بعد أن فسَّر حلم فرعون الذى رأى فيه سبع بقرات عجاف « هزيلة » يأكلن سبع بقرات سمان .

ولقد عاشوا أجيالا متعاقبة مستقرةً وأكرمهم شعبُ مصر وفرعونُ ويوسفُ .

وما أن نَعِموا بالاستقرار حتى بدأت نفوسُهم تظهر على حقيقتها فالصالح فيهم يزداد تقوى وحمدا لله ، والفاسد فيهم ينفث سمومه وفساده أينما حل .

وكيف لا ننتظر من الفاسدين منهم مثلما فعلوا بأخيهم يوسف وألقوه فى البئر عندما حسدوه على حب أبيه ...

وهل هؤُلاءِ الفاسدون ينصلح حالهم عندما يجدون أن المصريين قد وهَبَهُمْ الله نِعم النيل والخير والأمن والبركات، وهم أيضا إخوة لهم من نسل العماليق أبناءِ سام بن نوح ؟

لاَ ... فقد نمت فى نفوس هؤُلاءِ روح الحِقْد والحَسَدْ وبَرَزَت الطبيعة العدوانية وورثتها الأجيال .

لماذا كان اليهود فى زمانهم القديم شعب الله المختار ... ؟

لقد كان بنو إسرائيل الأوائل الذين أخلصوا لله العبادة صفوة الله وأحباءَه فى زمانهم، وظن المفسدون منهم أن هذا الحب والتفضيل يشملهم أيضاً هم وأحفادهم ونسُوا أنه لا ينال عهدَ الله من الرحمةِ والرضا إلا الذى يسلم وجهه لله وينفِّذ أوامره ويتجنب نواهيه .

وهكذا قال رب العزة لسيدنا إبراهيم لا ينال عهدى الظالمين .

وكبر هذا الفهم الخاطئ فى نفوسهم وتعالوا على الناس وقالوا :

إنهم شعب الله المختار وإن الله يرضى بأفعالهم مهما كانت فأصابهم الكبر والغرور، وخُدعوا فى أنفسهم وفهموا رحمة الله وعهده خطأ، وظنّوا أنهم وحدهم سلالة الأنبياءِ وغيرُهم عبيد وكفار.

مساوئ بنى إسرائيل فى مصر:

مع تعاقب الأجيال من بنى إسرائيل الذين نعموا بأمن مصر بعد طول تَرْحال، واستقامت لهم أُمور الحياة، بدت روح الحقد والحسد والعدوان تنبت وتثمر فى نفوس الفاسدين منهم وبدءوا يكيدون للمصريين ويعملون على إفقارهم ويتفننون فى استلاب أموالهم بالطرق الخبيثة.

وكذلك بذلوا جهودهم للسيطرة على وسائل العيش والرزق وفرض السلطان على أُمور الدين والدنيا.

وقد زاد من سطوة بنى إسرائيل وسيطرتهم أنه حينما سقطت مصر فى يد الهكسوس تحالفوا معهم وأعانوهم ضد شعب مصر وعاشوا فى ظل احتلال الهكسوس الغرباءِ حياةً رغدة على حساب مصر التى أكرمتهم واستضافتهم.

ولما تمكن أحمس من الانتصار على الهكسوس وطردهم فى القرن السادس عشر قبل الميلاد بدأت المخاوف لدى بنى إسرائيل من نظام الحكم الجديد وبدت علامات الكراهية من الشعب المصرى لهم لما فعلوه به، وتَفَهَّم فرعون مصر طبيعة بنى إسرائيل وبخاصة المفسدون منهم فأنزل بهم أشد الضربات، وألوان العقوبات كلما زادوا عزلة وغرروا وكلما تفننوا فى نهب الأموال بطرقهم الخبيثة ثم عقاباً لهم على تواطئهم مع الهكسوس.

موسى وتوقيت بعثته :

بُعِثَ موسى فى وقتٍ بدأت فيه أركان التوحيد وعبادة الله تنهدم فى نفوس بنى إسرائيل، وكذلك عندما أضعفت أفعال المفسدين منهم من إيمان المصريين الذين آمنوا بربٍ بنى إسرائيل .

وأُرسِلَ موسى فى وقت ازداد فيه بطش فرعون الذى لم يفرِّق بين إسرائيلى صالح وآخر فاسد ولأن الفراعنة جعلوا أنفسهم آلهة للمصريين يعبدون من دون الله .

بعثة سيدنا موسى :

فقد بعث الله موسى برسالته ليخلص بنى إسرائيل من ظلمهم لأنفسهم وللمصرين ويدعو لعبادة الله الذى لا إله غيره وليدعو فرعون مصر إلى عبادة الله الواحد ووقفِ بطشِه ببنى إسرائيل وليؤكد أن ألوهية الفرعون باطلة وأنه لاَ إلهَ إلا اللهُ وحده .

وها هو سيدنا موسى قد عاد إلى مصر من رحلته الطويلة إلى أرض مدين مزوداً بالحكمة بعد أن عاش فى صحبة نَبِىٍ الله شعيب وتزوج من ابنته .

عيد الزينة فى مصر الفرعونية :

عاد موسى إلى مصر حيث أمره الله بالرسالة والأمانة فى وقت كانت فيه مصر تستعد لاحتفالات عيد الزينة وحيث فرعون فى مراسم ألوهيته الكاذبة يذهب إلى المعبد يعب خمر العيد التى يسقيها له كهنة الضلال حتى يسكر تماماً ويحمله خدمه إلى سريره غائبا فى تخريفه وفى زحمة من سخرية خدمه وحاشيته .

ولقد أكثر فرعون فى هذا العيد من شرب الخمر لأن جواسيسه وأعوانه قد أبلغوه عودة موسى داعيًا إلى ربٍّ غير فرعون وإله غير ما عرف المصريون.

إن موسى من جانبه يعرف أن كثيراً من المصريين يؤمنون بالله ومنهم آسية امرأة فرعون وما شطة ابنته والأمير حَزْبيل أحدُ أُمراءِ القصر وغيرُهم الكثيرونْ.

ثم إن الله هو الذى بعثه ونَاصرهُ .

فرعون يتشاور فى أمر موسى :

وفى الجانب الآخر فإنه ما إن انتهى العيد حتى جمع فرعون الأعيان ، والقواد يستشيرهم فى أمر موسى وقد استحسن فرعون رأى وزيره هامان الذى قال :

« مولاى الفرعون ، ارى أن تكتم غضبك وأن تظهر الرضا عن موسى وكما كُنت له أبًا حيث تربَّى فى قصرك أعده ثانية إليك ، وأعلن أن حزنَك على غيابه هو أكثر من حزن الآباءِ لغياب أبنائهم ، وأن دم الجندى الذى قُتل بيد موسى لا يساوى غياب موسى عنك ساعة واحدة .

رَحِّبْ بموسى وأعدْهُ إلى قصرك وأظهر الفرحة بعودته ، أمِّنْه وطمئنه ولنا بعد ذلك معه شأن آخر فسوف نقتله فى رحلة صيد أو نزهة . ولن يقتله إلا أهل ذلك الجندى الذى قتله موسى ثأراً لابنهم .

وقد علمت ماشطة فرعون بالمؤامرة ، كما علمها والدها الأمير حزبيل فأرادا إخباره وذهب الأمير حزبيل متخفياً إلى موسى حيث استقبله بالحب والعرفان ، بالحب لأنه آمن به وصدق رسالته وشهد بأنه رسول الله .

وبالعرفان لأنه أيضا هو الذى أخبره بأن فرعون يأتمر به لقتله عندما ضرب مصرياً على وجهه فقتله وعندها خرج موسى من مصر فى رحلته إلى أرض مدين .

وها هو موسى يعود ليُخلِصَ له الأمير حزبيل الإيمان ويبلغه بتآمر الفرعون من جديد لقتله .

معجزات سيدنا موسى :

لقد تذكر الناس من جديد معجزات موسى وسحرة فرعون حينما حُشِرَ الناس ضحى لينظروا من الغالب المُؤيَّدُ بنصر الله .

سحرةُ فرعون بِحِبَالِهم وعِصِيِّهم التى انقلبت إلى ثعابين مخيفة على مَرأى من موسى الذى لا يملك سحرهم ، وفى لحظات كأنها دهر كامل وتحت غمامة من الخوف والحزن ظلَّلت الذين يحبون موسى ويؤمنون برسالته أخرج موسى يده من صَدرِه فإذا هى تُشعُّ نوراً يأخذ بالأبصار والأفئدة .

وإذا بموسى يلقى بعصاه التى فى يده فإذا هى ثعبان مبين يلتقط ثعابين السحرة ويحتويها فى جوفه .

فتُشْرِقُ شمُوس الإيمان وَتَغْرُبُ ضلالات الكافرين.

ويسجد موسى والسحرة والمؤمنون لله حامدين .

صرح فرعون العالى الى السماء :

يأتى مشهد آخر لمكابرة فرعون وتزييف الحقيقة الواضحة على الناس فيقول :

أليس لى مُلك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى .. ؟

أفلا تبصرون ... ؟

أى شىء يملكه موسى فى بلادنا وغير بلادنا ... ؟

يقول موسى إن ربه فى السماء .

لا شيء معه يَحْمِلُنَا على صِدْقه واتباعه .

إننى سوف أرتقى إلى السماء بنفسى لأبحث عن إله موسى المزعوم ... يا هامان ...

ابنِ لى صرحاً لعلى أبلغُ أسباب السماءِ فأطَّلعَ إلى إله موسى لأُؤَكِّد كذبه... وحتى إن وجدت إلَها هناك فسوف أقتله وأسلب عرشه .

إيمان آسية زوجة فرعون :

سمعت آسية زوجة فرعون ما قاله الفرعون فدعت الأمير حزبيل وقالت للفرعون فى حضور حزبيل ...

يا مولاى ما هذا الصرح الذى تريد بناءَه حتى تبلغ به السماءِ ... ؟

لقد سبق لك أن سخَّرت الشعب عشر سنين كاملة فى الصعيد وفى الشمال لضرب الطوب وحرقه وإعداد الأخشاب وصنع المسامير .

ولم يكن للناس كلّهم من عمل سوى بناءِ هذا الصرح وقبل تمامه جاءَ الزلزال وهدمه وعانت البلاد والعباد الأمَرَّين لانصرافهم عن أعمالهم وزراعاتهم إلى بناءِ الصرح فهل تكرر بناءَ ما هدم .. ؟

ويقول الأمير حزبيل : لقد ضج الناس وسخطوا حينما سمعوا عن أوامرك لهامان بإعادة بناءِ الصرح .

ويرد الفرعون : ومتى كان الشعب راضيا ... ؟

هل رضى عندما سُخِّر فى بناءِ الأهرام ، والمعابد ونحت الصخور فى الجبال لصنع التماثيل ... ؟ وإقامة القصور والصروح من أُنس الوجود إلى أقصى الشمال ... ! إن الشعب دائماً عَبْدٌ للفرعون ولم يتعلم التبرم إلا منذ أن سمع بموسى وسحرِه ودعوته بتحرير بنى إسرائيل .

حرق ماشطة ابنة الفرعون :

وتقول آسية : يا مولاى إن موسى مؤيد بقوة خفية .

وتتدخل ماشطة ابنة فرعون مدفوعة بقوة الإيمان الراسخة فيها وتقول: نعم إنه مؤيد بقوة الله الذى هدم الصرح الأول بقدرته .

وبُهِت فرعون من كلام الماشطة وسأل فى غيظ وتحدٍّ وأنت أيتها الحقيرة هل لك إله غيرى ...

آآمنتِ بهذا الساحر ...

يا هامان ... احفر لها حفرة من النار لم تشهد البلاد مثلها من قبل وألقِ بأولادها واحداً واحداً أمام عينيها لتكفر بموسى وربه . ولكنها آثرت الإيمان على الكفر وأُلقيت هى الأخرى فى النار فكانت مثالا على قوة الإيمان والعقيدة ، ولم ينج من هذا الحريق غير ابنتها دَلُوكا التى أصبح لها شأن كبير فيما بعد .

ودعا الفرعون أعيانه وكبار رجال الدولة للاجتماع والنظر فى أمر موسى.

وانتهى الاجتماع برأى فرعون الذى قال فيه : دعوا لى وحدى تدبير قتل موسى ولْيَدْعُ ربَّه .

خروج بنى اسرائيل ليلة الجمعة من مصر:

وقال حزبيل لموسى مادار فى قصر فرعون من الاستعداد لقتله وعلم بنيَّةِ موسى على الخروج ببنى إسرائيل من مصر، وأنه يعد العدة لذلك، وساهم حزبيل فى إحكام خطة الخروج والحذر من فرعون.

وخرج موسى وبنو إسرائيل من مصر يوم الجمعة عشاءً لا يبصرهم أحد متجهينَ إلى الشرق حيث البحر الأحمر وكان عددهم يزيد على المليون.

وكان خروجهم بأمر الله لموسى ليتوجهوا إلى أرض الميعاد التى وعدهم الله بها لكى يصبحوا هناك أمة قوية بإيمانها، صالحة فى الأرض بأعمالها.

إلا أن قصة الخروج كانت تعبر عن الطبيعة التى تَشكَّلت بها النفس اليهودية وصارت عليها من عدوانية وخضوع وبُعْدٍ عن الإيمان وعبادة للذهب والنفس.

فعندما سار بهم موسى فى أرض سيناءُ فترة من الوقت جاعلا وجهته فلسطين ثاروا عليه وقالوا له ولهارون أخيه كما جاءَ فى التوراة:

« ليتنا متنا فى مصر إذْ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا الفقر لكى تُميتَا كُلَّ هذا الجمهور بالجوع.

لماذا أصعدتمانا من مصر ... ؟

أمنْ أجل أن نموت نحن وأولادنا ومواشينا بالعطش ... ؟

فلم يحمدوا نعمة الله بالحرية، وفقدوا الاختيار الإلهى لهم، وفى أنه فضَّلهم على كل خلقه الكافرين.

الطبيعة الكافرة فى نفوس اليهود:

أثناءَ مسيرة بنى إسرائيل بأرض سيناءُ وجدوا قوماً يعبدون الأصنام فقالوا لموسى : اجعل لنا أصناماً نعبدها مثلهم .

فقال لهم مستنكراً : ـ أغير الله الرحمن الذى أنعم عليكم نعماً لا تعد ولا تحصى تبحثون عن إله ... !

موسى يتلقى وحى ربه :

وفى وقفة من وقفات الدعوة والرسالة الموسوية وَاعَدَ الله موسى أن يعطيه التوراة لتكون هدى لبنى إسرائيل بعد أربعين يوماً يصومها .

ولما حَلَّ الموعد ترك موسى بنى إسرائيل واستخلف عليهم أخاه هارون وذهب إلى حيث جبل الطور ليتلقَّى وحى ربه .

بنو إسرائيل يعبدون العجل :

ولكنهم لم ينتظروا عودة موسى بالتوراة نوراً وهدى ، فانتهزوا طيبة هارون فعبدوا عجلا فى صورة جسد يحدث صوتاً صنعه لهم السامرى من الذهب الذى استعاروه من قبط مصر قبل خروجهم واستحلوه ولم يردوه .

وعاد موسى ووجدهم يعبدون العجل .

ووجد أخاه هارون قد غُلِبَ على أمره وكادوا يقتلونه ، وأعلم الله نبيه أن السامرى قد فتن قومه بعبادة العجل فعاد غضبان أسِفاً .

وعلى مشهد من بنى إسرائيل أحرق موسى العجل وألقى بقاياه فى البحر وأثبت للجميع أن الله هو الإله الواحد .

وأمرهم موسى بالتوبة وأن يقتلوا شهوات النفس وأهواءَها وأن يُكَفِّروا عن خطيئتهم هذه بالعودة إلى الله عودةً خالصة وتوبة صادقة .

الاستعداد لدخول أرض الميعاد :

وبعد كل هذه الأفعال واصل بهم موسى سيره إلى أرض الشام وقبل أن يصل بهم إلى الأرض المقدسة التى كان يسكنها الكنعانيون أمرهم بالاستعداد للجهاد لدخولها ، واختار منهم اثنى عشر نقيباً أمرهم أن يتقدموه فى دخول الأرض ليعرفوا أحوالها فذهبوا وعادوا ليقولوا إن الأرض المقدسة تدر لبناً وعسلا إلا أن سكانها جبارون .

عقاب الله لليهود بالتيه ٤٠ عاما :

وأخذ كل نقيب يخذل جماعته عن دخولها إلا رجلين منهم أمَرَا بنى إسرائيل بأن يطيعوا موسى وأن يصمموا على دخول الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم ، وبشَّرهم بالنصر إذا توكلوا على الله وأخلصوا الجهاد .

ولكن بنى إسرائيل عصَوا نصيحة الرجلين وعصوا نبيهم موسى فكانت النتيجة أن ابتلاهم الله بالتيه فى صحراء سيناءَ - هضبة التيه - أربعين سنة وذلك حتى يهلك ذلك الجيل الذى تربَّى على الذل والعبودية وينشأ جيل آخر يتربى خلال مدة التيه على الخشونة والصبر .

الوعيد الالهى لليهود :

وهكذا يقول رب العزة لليهود المعاصرين لبعثة النبى محمد ﷺ أن يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى حيث فضلتكم وآباءكم فى زمان مضى - وهذا مجد قديم نعمتم به - كنتم فيه أصفياءَ الله فضلكم بالعلم والإيمان والعمل الصالح وجعلت الأنبياءِ منكم .

وهذه النعم وغيرها كافية لأن تخشوا يوم الحساب ذلك اليوم الذى لا ينفع فيه المرءَ إلا إيمانُه وعمله الصالح ثم إنه لا يقبل من أحد فداءَ عن سيئاته ثم لا شفيع لأحد عند الله .

ثم إنه لا أحد من العالمين فى أى زمان ومكان لم يسمع عن فضل الله عليكم يوم أن أغرق فرعون وجنوده جزاءً له على تعذيبكم وإذلالكم وذبح أبنائكم واستحلال نسائكم ثم أنجاكم بفعل قدرته ووحيه لنبى الله موسى .

أليس هذا دليلا على نعمة عظيمة خصكم الله بها تتناقلها الأجيال وتتحدث بها الأمم ... ؟

ثم بعدها تعبدون العجل فى وقت ينزل فيه من السماءِ كتاب مقدس على نبيكم موسى ومن رحمتنا عفونا عنكم لعلكم تستحون من أنفسكم وبعدها تطاليون موسى بأن تروا الله بأعينكم حتى تؤمنُوا فصعقتكم قدرة الله ومِتُّم يوماً وليلْة وبعدها بعثناكم من رقادكم لعلكم تحسون وتشعرون بأدب الإيمان وأداب التفكير فى معيه الله وخصوصياته .

السحاب يظلل بنى إسرائيل :

يا بنى إسرائيل فى أى زمان اذكروا أنه فى زمان وجودكم فى سيناءَ بعد الخروج من مصر ومن رحمة الله بكم أنه سخر لكم السحاب يظللكم من الشمس .

المن والسلوى رزق الله لبنى إسرائيل :

وعندما كنتم فى صحراءِ التيه تنعمون برزق وخير لم ينعمْ غيرُكم بمثله فكان المن ينزل عليكم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس تأخذونه طعاماً شهياً وكان السمان يتساقط عليكم . فمن طيبات الله أكلتم .

وبرغم ذلك عاندتم وكابرتم وهذا ليس ظلماً لله ولكنكم تظلمون أنفسكم وأجيالكم التى ترث عنادكم وخبثكم .

هل تذكرون يوم أن قدرنا لكم دخول أول قرية فى الأرض المقدسة بعد أن بقيتم فى التيه أربعين سنة ... ؟

« يا لها من قصة تستحق أن تروى للأجيال » .

لقد مات سيدنا موسى وهارون وأصبح يوشع بن نون رئيساً لبنى إسرائيل وقد هلك من بنى إسرائيل فى صحراء التيه بسيناء هؤلاء الذين قالوا لموسى

﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ﴾

هؤلاء الذين تَربَّوا على الذل والعبودية .

ونشأ جيل جديد أكل المن والسلوى وتعلم حياة الخشونة والبداوة .

يوشع بن نون ومقدمة دخول الأرض المقدسة:

قاد يوشع بن نون بنى إسرئيل لدخول الأرض المقدسة ولقد عبر بنو إسرائيل نهر الأردن وكانت أريحا أول مدينة فى مواجهتهم واستطاع العبرانيون أن يهزموا الكنعانيين وكانت الهزيمة مثلا واضحاً على طبيعة النفس العدوانية الكامنة فى هذا الشعب اليهودى .

لقد انقضوا على جماعة من المستقرين الآمنين وقتلوا منهم الآلاف وسبَوْا من تبقى من النساء وجرت دماءُ القتلى أنهارا ، وصلبوا واحرقوا الحاكم .

هل سمعنا فى التاريخ البشرى هذا الإسراف فى القتل ثم الاستمتاع به..؟

لقد ساروا على أكذوبة تقول :

« إن أكثر الناس قتلا هو الذى يبقى حياً ».

خلق لا يعرف العواطف ولا يحس بها :

ويخاطب رب العزة فى قرآنه بنى إسرائيل أن اعتبروا فقد قدرت لكم دخول الأرض المقدسة وحينما استعنتم بقدرتى أعنتكم ولكنى أمرتكم بالسجود لى على ما أصبحتم فيه من نصر وفتح فَنَسيتُم السجود والشكر وانقلبتم تقتلون وتحرقون وتَسْبون وتستحلون دماءَ خلقى واستبدلتم الرحمة بالعباد عدوانا وظلما .

وبدلا من أن تحلوا فى هذه الأرض وتحطوا فيها برسالة التوراة والعبودية لله وتنعموا بخيراتها، اعتديتم بالشر والحقد والكراهية والتدمير وأبدلتم وصاياى لكم بما سولت لكم شياطينكم فكان عقابى من الطاعون الذى قتل منكم فى ساعة واحدة خلقا كثيرين . ألا تعتبرون ... ؟

حجر موسى يتفجر منه الماء :

يا بنى إسرائيل إن رحمة الله الواسعة قد وسعت كل خطاياكم وتتسع لأكثر منها لأن الله حليم غفور فاذكروا أيضاً يوم كنتم فى صحراءِ التيه مع موسى وأصابكم العطش فاستصرختم موسى فاستعان بالله الذى أوحى له أن يضرب حجراً مكعباً يحمله معه دائماً فى مخلاته بالعصا التى يحملها فتفجرت من الحجر إثنتا عشرة عيناً كل عين كونت رافدا أو قناة شقت فى الأرض مجراها وتوجهت فى إتجاه محل إقامة سبط من أسباط بنى إسرائيل وهكذا شربوا وطعموا من خير الله منًا وسلوى يأتيهم دون عناءٍ أو مشقة وهذه نعمة من نعم الله التى خص بها بنى إسرائيل .

فماذا كان أدبهم مع الله ونبيه ... ؟

لقد قالوا لموسى إن هذه النعم أنعم الله بها عليهم فى التيه ، ذلك المن والسلوى الشهى الذى يأتيهم فجرا بغير جهد أو سعى وهذا الماءُ المبارك

الذى يتفجر من الحجر ليرتووا ، ليس متفقا مع هواهم ، فهم لا يستطيعون الصبر على طعام واحد هو المن والسلوى .

إنهم يريدون موسى أن يدعو الله لتنبت لهم الأرض من القمح والبصل والثوم والبقول ، يستبدلون الأقل والأدنى بالطيب المبارك.

الغضب الإلهى على بنى إسرائيل :

فكانت بوادر علامات الغضب الإلهى على بنى إسرائيل لاختيارهم لأنفسهم مالا يرضى عنه الله، فقال لهم «لكم ما سألتم وما اخترتم وما رضيتم لأنفسكم »

فسوف ينتهى تيهكم فى سيناءَ وسوف تهبطون إلى الأرض المقدسة وستجدون فيها من الخيرات مثل ما كنتم تجدونه فى مصر .

ولكنكم فى هذه الأرض ستزدادون عدوانية وبعدا عن العهد الذى نزل عليكم فى التوراة وسوف تكفرون بالله مثلما كفرتم بمعجزات الله من فلْق البحر ونجاتكم وإظلال الغمام لكم فى التيه ونعم المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر لتشربوا .

وبعدها سوف تكفر أجيالكم بالأديان السماوية التى سوف تنزل كالإنجيل والقرآن وسوف تقتلون انبياءَ الله وهكذا قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى ظلما وإشباعا لأهوائهم وأمراضهم وحبهم الشديد للدنيا .

ولهذا فإن الله قد ضرب عليهم دائما وأبدا ذلاً حتى وإن كبروا ، ومسكنة وإن كثروا ، وغضب الله عليهم ولعنهم حتى يرث الأرضَ ومن عليها .

الفصل الثانى

الموازين العادلة للإيمان

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

«سورة البقرة الآية: ٦٢»

إن هناك وحدة بين الأديان . والاختلاف بينها اختلاف فى المراحل التاريخية وفى المزاج الروحى ، والإيمان بالأديان متوقف على البلاغ بالرسالة والإعلام عنها .

فمعادلة الإيمان هى الإيمان بالله ، وأن هناك يوما يُحاسب فيه المخلوق على فعله فى الدنيا ، ثم إن المخلوق الذى يعمل الأعمال الصالحة التى تتفق وطبيعة الإيمان بالخير والشر والمعروف والمنكر والحق والباطل هو وأمثاله لهم أجرهم عند الله ولا خوف عليهم من عذاب النار ، ولا يحزنون على ما فاتهم من خير كانوا يريدون فعله ، ولكن لم تمهلهم أقدارهم وهؤلاء سواء اكانوا يهودا أم نصارى أو لم تصلهم الأديان ولم يبعث فيهم الرسول ولكنهم بحثوا عن الله بفكرهم وعبدوه بقدر ما ألهمتهم فطرتهم .

كل هؤلاء عباد الله صالحين ما داموا قد أسلموا وجوههم لله وحده فمن آمن بموسى فهو مسلم ومن آمن بعيسى فهو مسلم ومن آمن بدعوة الرسول العظيم محمد فهو مسلم . ولا خوف على المؤمنين بالرسل لأنهم آمنوا برسالة زمانهم .

والخوف كل الخوف على من يجادلون فيما ليس لهم به علم حول الإيمان ومن يكون الفائز ومن يكون الكافر الخاسر فهذا شأن الله وهذا رهن مشيئته . فلا تجادلوا فى أمر السابقين.

وانظروا إلى أنفسكم وابحثوا عن صلاحها وهدايتها حتى لا تحزنوا يوم لا ينفع الحزنُ ، وعن ميثاق بنى إسرائيل والعقاب الإلهى.

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

«سورة البقرة من الآية ٦٣ : ٦٦»

معصية الأجيال وأدب الرحمن :

إن الله حليم رؤوف بعباده يمهل عباده الظالمين ولكنه لا يهمل معصيتهم إن استمروا فى الكفر والعناد .

ويؤدب الله الأجيال أدباً يستلهم عبرَهُ من الأجيال السابقة وبخاصة هؤلاء اليهود الذين لازمهم العناد والعصيان على مر العصور فعاندوا

موسى وآذوا عيسى ، ولم يؤمنوا بمحمد واستمروا حتى يومنا هذا فى غرورهم وكفرهم وعنادهم .

لقد اغتروا وتكبروا ولم يتأدبوا حتى مع الله ، ولكن الله القادر على أن يُريح الدنيا منهم أسوة بما فعل مع قوم نوح أو عاد أو ثمود جعلهم بأنفسهم الشرِّيرَة عبرة وعظة للأمم جميعاً .

فهم على مر العصور حديث الناس ومحل أنظارهم .

وهم رموز التقوى لمن كان منهم تقيا ومؤمنا .

وهم رموز الكفر والشر لكل من تجبر وكفر وطغى .

وهم رموز البخل لكل من كنز المال وبغى وتكبر .

وهم رموز المعاصى وفنون العدوان على الأُمم كلما استطاعوا لذلك سبيلا .

وهم رموز النفاق كلما كان ذلك مُرْضيا لأهوائهم .

وهم رموز لكل شرور الحياة .

والله جعل منهم « مسرحاً للبشرية » يراقبون نهاية فصوله على مر الأزمان فيتأدب كل حسب اختياره وفطرته .

فالله من خلال « مسرح اليهودية » يؤكد للخلق وللعباد أنه قادر قوى رحيم فهو الله الذى :

- يُمهل ولا يُهمل .
- رحيم بقوة، جبار ومنتقم بقدرته .
- صبور رؤُوف .
- فضله يزيد ويزداد وهو غنى عن العباد .

* يعطى لكل أمة قدرها ولكل مؤمن حقه .

* يضرب الأمثال لتتعدد آياته فى الكون فيتعظ كلُّ من قلبُه سليم ويضل كلُّ من يتخذ إلهه هواه .

كونوا قردة خاسئين:

وفى هذا الشأن يخاطب الله بنى إسرائيل ويقول لهم ولأجيالهم .

وها أنتم يا بنى إسرائيل قد أخذنا عليكم الميثاق واضحا فى التوراة التى نزلت بالحكمة والنور ونزلت من عند الله على موسى فوق جبل الطور، ليكون تطلعكُم دائما إلى قوة العقيدة باتباع شريعة الله ، وأن تعلموا أن كل الوصايا التى وردت فى التوراة هى منبع التقوى والإيمان .

إلا أن نفوسكم التى تحب وتهوى المعاصى حبَّبَت إليكم شهواتِ الدنيا .

حتى أنه حُرِّم عليكم العمل فى يوم السبت وكلفتم بعبادة الله فى هذا اليوم غلبت عليكم شهواتكم وفضلتم العمل وصيد السمك فى هذا اليوم فكان جزاءُ من خالف أن وضع الله فى قلبِه مشاعرَ القردِ وتصرفاتهِ وأحاسيسَه فكانوا أجسام بشرٍ وادراكَ قرود حتى تتعظوا وتثوبوا إلى رشدكم أو تكونوا حديث الأجيال وعبرةً لمن يعتبر .

الباب الثالث

الفصل الأول

قصة بقرة بنى إسرائيل

الفصل الثانى

العلامات المميزة لبنى إسرائيل ودورهم فى إفساد الخلق

الفصل الأول

قصة بقرة بنى إسرائيل

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات ٦٧ : ٧١»

هذه لفتة قرآنية للأجيال تبين طبيعة اليهود عندما يناقشون أمرا من الأمور أو عندما يريدون التضليل عن الحق ، فهم دائما يتفننون فى اختلاق الجدل والمناقشة والحوار .

- لكسب الوقت لصالحهم أو للتضليل عن الحق أو لإرهاق صاحب الحق فيكف عن المطالبة به .

فهم يجادلون حتى مع الله العلى العظيم .

ونلاحظ هذا فى قصة البقرة التى ذكرت فى القرآن .

فماذا تحكى القصة ؟

بينما بنو إسرائيل فى سيناء ينعمون برزق المن والسلوى الذى يأتيهم كالثلج مع الفجر وحتى طلوع الشمس يأكلون منه رزقاً طيباً ويرتوون من ماءِ الحجر الذى ضربه موسى بعصاه فتفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وعبر الماءُ فى اثنتى عشرة قناة توجهت كل قناة إلى سبط من أسباط بنى إسرائيل وتقاسموا الحياة على هذا النحو فقد دارت أحداث هذه القصة .

نبى الله موسى فى زيارة آزر :

ذهب آزر بن حيلوق إلى السوق وفى نفسه رغبة فى شراءِ شىءٍ ينفع ولده إلياب الذى لم يتجاوز عمره الثامنة .

ولم يعد آزر إلى كوخه فى نهاية اليوم فقلقت عليه زوجته راحيل وإذا بطرق على الباب وابنها إلياب يمسك بيد النبى موسى .

يا بشراى هذا نبى الله يزورنا فهو يحب زوجى آزر ويثق فى طيبته وإيمانه.

راحيل : « تفضل يا نبى الله فإن فى قدومك بركةً وفى نسيم ريحك عطر، وفى وقع خطواتك يزداد إيمان القلب » .

موسى : هذا إلياب اصطحبته عندما وجدته مع صبيان بنى إسرائيل يلعب وجئت لأرى آزر بعد عودتى من جبل المناجاة .

راحـــيل : يا نبى الله ذهب آزر إلى الســـوق ولم يعـــد من الأمس وها أنا يشدنى القلق ، وتساورنى الظنون .

نبى الله موسى : أبلغيه السلام وبارك الله لك فى إلياب ، وذهب سيدنا موسى وعاد آزر منهكا تعبا يسوق « عِجْلة » بقرة صغيرة هزيلة ضعيفة برز عظمها من جلدها .

ورحبت راحيل بزوجها آزر الذى قال لها إنه مرض وأصابه الإعياء ولم يشتر من السوق إلا هذه العجلة الضعيفة التى لم يرض أحد بشرائها ولونها الأصفر الفاقع هو الذى أعجبه ، ووجد شيئاً فى داخله يلح عليه أن يشترى هذه العِجْلَة دون سواها ، وقال لراحيل واشتريتها علَّها تنفع ولدنا إلياب عندما يكبر ، فلنتركها فى المرعى فقد تأكل وتسمن .

وعلم آرز بزيارة نبى الله له أثناء غيابه .

وقال لزوجته : إن نبى الله موسى قد ضاق بأفعال بنى إسرائيل وضلالاتهم وها هو الآن قد عاد من جبل المناجاة ليجد بنى إسرائيل يعبدون عجلا صنعه لهم الساحر السامرى من الذهب ، إن ضلالاتهم تجاوزت الحدود ، وأخشى عليهم غضب الله .

وأشار آزر لزوجته بازدياد العلة به وأنه يحس بقرب أجله وأوصاها بأن تحفظ على ولده إلياب تقواه وإيمانه .

فإنه لا يورثه إلا تقوى الله ولأنه سبحانه يتولى الصالحين .

وقال : إذا أنا فارقتكم ، فالتفتى لولدى وعلميه شريعة الرب رب موسى ويوسف ويعقوب واسحق وإبراهيم .

ولا تهتمى بأمر العجلة ودعيها ترعى فى أرض الله تأكلُ ما شاءَت ولا تحرثى عليها أرضا ، ولا تركبى لها ظهرا ، ولا تحلبى لها لبناً ، ذريها مسلَّمة فى المرعى حتى يكبر إلياب .

وتضايقت راحيل من إشارة زوجها إلى الموت وقالت :

لم تكف منذ حضرتَ من سفرك عن ذكر الموت والفراق ، بالله عليك اذكر لنا حديث الحياة لا الموت ، والفرح لا الحزن ، وفكر منذ اليوم فى الفتاة الصالحة التى نختارها لابننا إلياب .

آزر : إن شمعون بن نفتالى من شيوخ بنى إسرائيل الصالحين هو رجل غنى بإيمانه وماله .

ثم إنه من أصحاب نبى الله موسى ولايكاد يفارقه .

ولقد قال لى : لقد سميت ابنتى الوحيدة « رفقة » تيمنا باسم زوجة أبينا إسحق نبى الله . ويوما قال لى أتمنى على الله أن يكتب لها الزواج من شاب صالح .

ثم قال إنى أرى فى غلامك الصغير إلياب والذى يكبر رفقه بعامين زوجَ المستقبل لابنتى .

موت آزر :

ومات آزر وترك راحيل وإلياب وكلُّ ما يمتلكانه تقوى الله ورعايته ، وهذه البقرة العجفاءُ ومرت ثمانى سنوات وكبر الفتى والفتاة وأصبحت البقرة العجفاءُ بقرة تسر الناظرين .

مقتل أحد صحابة نبى الله موسى :

كان لشمعون بن نفتالى الرجل الغنى الصالح والد رفقة ابن أخ مستهتر هو « ناداب » يطمع فى ثروة عمه ولم يجد وسيلة غيرَ أن يتزوج من « رفقة » وذهب لخطبتها من عمه .

إلا أن عمه شمعون رفض بشدة وقال لرفقة إن ناداب يريد أن يرثنى ومحال أن يكون له ذلك يارفقة .

إننى اخترت لك منذ صغرك إلياب بن آرز الصالح ، ولكنى لا أعرف أين يقيم وأنا دائم البحث عنه فإذا عثرت عليه زوجته لك .

وذهب شمعون إلى صديقه منسى بن أليشع ، وأسرَّ إليه بما حدث وما فى نفسه من عهد على زواج رفقه بإلياب .

وفى صبيحة اليوم التالى وجدت جثة شمعون بن نفتالى على مقربة من مساكن عشيرة غير عشيرته ومسكنه .

وكان لخبر مقتله ضجة كبيرة لأنه رجل صادق محب للخير حسن الخلق حكيم عالم غنى جواد .

تفتّن بنى إسرائيل فى الجدل والتضليل :

كان لخبر مقتله على الفقراءِ والمساكن والضعفاءِ واليتامى وقعُ الصاعقة لأنه كان باراً سخياً كريماً معهم .

ونادى بدمعه أهله وبخاصة ناداب ابن أخيه الذى أبدى الحزن واللوعة على مقتل عمه .

واشتدِ الجدل وتفتن ناداب فى كيل الاتهام وبدت دلائل الفتنة بين بنى إسرائيل .

وعُقِد مجلس للقضاء فى حضور نبى الله موسى وبدأت المجادلات .

واتهم ناداب القرية الظالمة التى وجدت جثة عمه شمعون بجوارها ونادى بدمه منها وأنكرت القرية التهمة .

وتعددت الاتهامات والادعاءات .

نبى الله وحكمه :

وجاءَ دورُ نبى الله موسى ليقول حكَمه العادل وأنصت الجميع .

وقال : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... ودُهش العامة والغوغاء والمنافقون وهاجت وقالت إن موسى يستهزئ بهم .

وتطاولت الألسنة ومنهم من قال :

- ما دخل من قُتِلَ بذبح بقرة ... ؟

- ما ذنب عشيرة شمعون الذى قُتِلَ حتى يستهزىء بها موسى ... ؟

- هل يعقل من نبى أن يقول مثل هذا ... ؟

- لماذا لم يقل اذبحوا شاة .. ؟

- إن نبى الله يمزح وهل هذا وقت المزاح وشمعون الذى قتل صديقُه وصاحبُه وشيخ من شيوخ بنى إسرائيل ... ؟

وقال ناداب : إن موسى يتخذُنا هزوًا ...

وقام موسى وتوكَّأ على عصاه ، وانصرف صامتاً ونسى بنو إسرائيل أو تناسَوْا القتيل والقضية ، وأخذوا يتجادلون فى البقرة التى يريد نبى الله ذبحها .

تصديق المؤمنين لموسى :

ولكن كان موقف الصديقين والمؤمنين بموسى أن قالوا :

- إن نبى الله لم يقل شيئاً من عنده . بل هو كلام كلَّمه الله به وأمره أن يُبلِغَهُ لكم .

- إن للحكمة الإلهية قدسيتَها ثم إن عقولنا نحن (بنى إسرائيل) لا تدرك هذه الحكمة . وما لنا إلا الطاعةُ حتى يحكم الله فى أمر غاب عنا .

واجتمع بنو إسرائيل فى اليوم التالى :

وقال أهل شمعون لنبى الله ...

يا موسى : هل تتخذنا هزواً ... ؟

قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ...

وهنا وقف صاحبٌ من أصحاب موسى وشيخ من بنى إسرائيل وقال : يابنى إسرائيل إن موسى لا يتخذنا هزواً .

وهنا صاح عاقل من شيوخ بنى إسرئيل : القتيلُ قتيلُ بنى إسرائيل ، وسلام بنى إسرائيل لا يهم عشيرة دون سواها فليدفع كلُّ بنى إسرائيل مشاركةً ثمن البقرة .

وسكت الناس وتحسَّروا لأن جدالهم سبب لهم هذا الغرم .

وهنا قال نبى الله : ما دمتم قد رضيتم هذا فاجمعوا المال واشتروا البقرة واذبحوها طاعة لأمر الله ، وتهامس القوم الذين نمَتْ فى نفوسهم أشواك الجدل والمبالغة والشك وقالوا : أىَّ بقرة نذبح ... ؟

ادع لنا ربك يبن لنا ما هى ... ؟

فقال شيخ حكيم .

لا تُصعبُوا الأمر فأىُّ بقرة تكفى .

فقالوا : لابد لنا أن نعرف ما هى ... ؟

هل هى بقرة صغيرة لم تلد ... ؟

هلى هى عجوز فارض مسنة ... ؟

أم هى عوان وسط بين الكبر والصغر ... ؟

فقال موسى بعد صمت :

إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون .

ولكن الشعب الذى لم يعرف أدب الحوار مع النبى وأدب الانقياد لأوامر الله قال قائل منهم :

أدع لنا ربك يبين ما لونها .. ؟

قال شيخ منهم : يا بنى إسرائيل ما دخل اللون فى بقرة تذبح ... ؟

ولتكن بأى لون فلا تصعبوا الأمور ولا تطيلوا الجدل وتأدبوا مع الله ونبيه فالعبرة فى طاعة أوامر الله أن تذبحوا بقرة .

قال غوغاؤهم :لابد أن نعرف لونها .

ولقد كان تأداب أسعد الناس حظًا بهذا الجدل ، وهذا التعتيم وهذا اللغط لأن فى ذلك طمسًا لجريمة قتل هو الرابح من ورائها .

وقضى بنو إسرئيل فترة فى جدال حول اللون ونبى الله موسى منصرف عن لغوهم وضلالهم .

حتى عاد خلصاء وشيوخ إسرائيل يوفقون بين المجادلين حتى يتأدبوا مع نبى الله ، واجتمعوا مرة أخرى وقال شيوخ بنى إسرائيل لنبى الله موسى :

يا نبى الله إنك مطالب بالفصل فى قضية مقتل شمعون .

وما نريد أن يشغلك عن الحكم فيها لغطُ القوم وجدالهم .

فاسأل الله يبين لهم ما يرويدون .

الوصف القرآنى لبقرة بنى اسرائيل :

وسأل موسى ربه واجتمع بنو إسرائيل :

فقال : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾

«سورة البقرة الآية ٧١»

أى أنها بقرة لا ككل البقر ، لا تحرث أرضاً ولا تدير ساقية ، وليس فى جسمها علامة أو بقعة بلون يخالف لونها الأصفر .

وهنا صاح القوم : الآن جئت بالحق .

هذا الحق الذى عقَّد الأمور على بنى إسرائيل هو الآن حق .

وبدأ الجميع ينشغل بالبحث عن بقرة صفراء لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك... صفراء فاقع لونها تسر الناظرين لا ذلول تثير الأرض ، ولا تسقى الحرث لا شيه فيها .

واعجزتهم الحيل فى العثور على بقرة بهذه الأوصاف جميعها .

وبينما إلياب بن آزر الذى مات أبوه وترك له بقرة عجفاءَ صغيرة يجلس مع أُمه وهما يمتعان نظرهما بالبقرة التى أصبحت تسر الناظرين إليها ويتحاوران فى أمر زواج إلياب وفى وصية أبيه بأن يتزوج رفقة بنت شمعون .

وإذ بطارق على الباب :

راحيل : هذا عمك منسى بن اليشع الذى لم نره منذ ثمانية أعوام ومنذ أن مات أبوك ...

إلياب : أهلاً يا عماه لطالما سمعت عنك عن طيبتك وصلاحك فالحمد لله الذى أنعم علىّ بمرآك .

منسى أهلا بك يا زوجة أخى وأهلا بك يا إلياب بنٌ عَزيز لأخ وصديق صالح كريم .

ولكن هذه البقرة ...

إلياب : إنها بقرة اشتراها أبى آزر قبل وفاته وقال دعوها فى الغوطة ترعى وتسمن . مسلمة ولا تحرثوا عليها أرضاً ولا تسقوا بها زرعاً ولا تركبوا لها ظهراً ولا تحلبوا لها لبنا .

فإنها بأمر الله ستكون لإلياب ابنى ميراثا له شأنُه .

منسى : صدق رحمه الله .

فهذه البقرة تنطبق عليها أوامر الرب لحسم خلاف بنى إسرائيل حول قتل شمعون بن نفتالى .

راحيل : هل قتل شمعون .. الصالح التقى .. ؟

منسى : قتل وهذه البقرة هى سر إلهى أودعه الله فى بيتكم ليوم له شأن وقال منسى لإلياب وراحيل .

إن شعب بنى إسرائيل ليس فقيراً فقد صنع بقرة من ذهب ليعبدها واليوم وهم يبحثون عن بقرة يذبحونها ولا ينطبق هذا إلا على بقرتك فاطلب منهم ملء جلدها ذهبًا .

أدب المؤمنين مع رسلهم وأنبيائهم :

إلياب : يا عماه إذا كانت البقرة لنبى الله موسى فهى له بلا ثمن .

وإذا كانت لبنى إسرائيل فهى بملءِ جلدها ذهباً .

وعاد منسى إلى جموع بنى إسرائيل ومعه إلياب وبقرته .

وما أن رآها ناداب وعشيرة شمعون القتيل وبنو إسرائيل حتى أحس كل بما فى داخله وصاح صائح : لقد وجدوا البقرة .

ولكن ماذا فى نفس ناداب الذى ينادى بدم عمه القتيل ويرمى بالاتهام فى كل اتجاه .

لقد انعقد لسانه عن الكلام واسوَّدت الدنيا فى عينيه واصفر لونه وأصابه الهم والغم .

وفى ساحة القضاء :

أتى إلياب وبقرته وقال قولته .

إن كانت هذه البقرة لنبى الله موسى فهى بلا ثمن .

وإن كانت لبنى إسرائيل فهى بملء جلدها ذهبًا .

وانتهى الجدل بأنها بملء جلدها ذهبا .

وانحنى منسى على أذن نبى الله موسى يحدثه عن إلياب الذى أصبح شاباً فتيا ، صالحاً تقياً ، وعن وصية شمعون بأن يتزوج إلياب رفقة .

وهنا قال نبى الله موسى :

والآن يا بنى إسرائيل اذبحوا البقرة فذبحوها .

اقطعوا جزءًا منها فقطعوا .

إخراج القتيل من القبر :

فليحمل هذا الجزء ولنتحرك به إلى قبر شمعون وليأت معنا إلياب .

فحمل إلياب الجزء وأمر موسى بإخراج القتيل من قبره فأخرجوه .

فقال موسى : اضرب يا إلياب القتيل بما تحمله فضربه .

وما كان إلا أن رأى الجميع شمعون وقد عادت له الحياة ووقف بين الناس بشراً سويا .

عودة الحياة إلى القتيل :

فقال له موسى : من قتلك يا شمعون ؟ .

قال شمعون : ناداب ابن أخى .

وبين الذهول والاستغراب وشهادة القتيل على قاتله مات شمعون وعاد إلى قبره . وأمر موسى بتنفيذ شريعة الرب فى ناداب .

وحكم عليه بالقِصاص :

وشهد بنو إسرائيل مشهداً لم يشهده خلق من قبل فهل يحمدون الله على ما أكرمهم وخصهم به ... ؟

قلوب بنى إسرائيل القاسية :

وهنا يقول رب العزة :

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

« سورة البقرة الآية ٧٢ »

ويقول جل جلاله :

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

« سورة البقرة الآية ٧٣ »

وبرغم هذه المعجزات الجليَّة وهذه الآيات البينات على أهمية الإيمان وصدق موسى وربوبية رب العزة وقدرته ، تقسوا قلوب بنى إسرائيل وتتحجَّر فى مواجهة أوامر الله . وتصبح أكثر قسوة من الحجر فإن الأحجار تسبح بحمد الله ويتفجر منها الماء كما فى حجر موسى .

وكذلك فهناك جبال تهبط من خشية الله فبنو إسرائيل بما وصفهم الله هم أشد قسوة من الحجر والله ليس بغافل عن قسوتهم ولهم عنده عذاب عظيم .

الفصل الثانى

العلامات المميزة لبنى إسرائيل

ودورهم فى إفساد الخلق

قال تعالى :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

« سورة البقرة الآيات ٧٥، ٧٩ »

يقول رب العزة مخاطباً رسوله أن يا محمد ويا من آمنتم به لا تطمعوا أن يؤمن بنو إسرائيل لأنهم فُطِموا على الجدال والمناقشة والمكابرة والتضليل .

والذى يؤكد هذا أن موسى حينما ذهب إلى جبل الطور ليتلقى من ربه التوراة اختار معه سبعين من بنى إسرائيل سمعوا كلام الله .

ولكن بعض ضعفاء القلوب منهم قالوا :

إن الله قال لموسى إن استطعتم أن تفعلوا وتنفذوا ما جاءَ بالتوراة فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا .

هؤلاء هم سلفهم يعلمون الحق ثم يحرِّفونه وفق هواهم وشهواتهم .

إنهم أيضا بقدر ما يشككون فى الحق بتحريفه يشككون أيضا فى الإيمان والقرآن فيما بينهم، فبعضهم عندما يقابل المؤمنين الذين آمنوا بمحمد يقول لهم إننا نؤمن بمحمد ورسالته فهو النبى الذى جاءَ ذكره فى التوراة .

ويعاتبهم إخوانهم اليهود فيما قالوه للمؤمنين عن صدق محمد وبأن هذه التأكيدات بصدق رسالته سوف تؤخذ عليهم حججا يوم الحساب . وكأن هؤلاءِ الذين يعاتبون لا يعرفون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وأنه غنى عن هذه الحجج فهو عليم بكل ما فى نفوسهم حتى ولو لم يُعلنوه.

فالويل لكل من يُحرِّف كلام الله حسب هواه .

وويل للذين يقولون شيئا وهو ليس من عند الله .

وويل لهؤلاءِ الذين يُغيِّرون فى التوراة لتكون عصرية .

أو يؤلفون الماشنا أو يكتبون البروتوكولات والتلمود ليكسبوا مجداً أو مالا.

ولماذا يقولون إن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات أهم مازالوا على زعمهم بأنهم صفوة الله ... ؟ أم أخذوا على الله عهداً بذلك ... ؟

إن شريعة الله تقضى بالعدل بين خلقه وكل نفس بعملها .

وقال جل جلاله عن ميثاقهم :

﴿ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات ٨٣: ٨٦»

فلقد أخذ رب العزة ميثاقا على بنى إسرائيل :

- ألا يعبدوا إلا الله .

- وأن يحسنوا إلى الوالدين .

- وأن يحسنوا إلى ذوى القربى .

- وأن يرحموا اليتامى والمساكين .

- وأن يقولوا للناس الكلام الحسن .

- وأن يقيموا الصلاة التى أوجبها الله عليهم .

- وأن يلتزموا بفروض الزكاة المقررة على أغنيائهم ولكنهم استحسنوا نقض هذا الميثاق وأعرضوا عنه إلا القليلَ منهم الذى مُلِئَ قلبُه بالإيمان .

وكذلك أخذنا على بنى إسرائيل ميثاقاً ألا يرتكبوا المعاصى التى تعرضهم للقتل الذى يخرجهم من الحياة الدنيا ومن الحياة الأبدية فى الجنة خاسرين .

وأيضا أخذنا عليهم ميثاقاً بألا يعتدى بعضهم على بعض إذا غرَّتهم قوة الإثم وروح العدوان .

لأن الاعتداءَ بالقوة الذى يؤدى إلى الإخراج من الديار والوطن هو فتنة والفتنة أشد من القتل .

وأنتم يا جميع أجيال بنى إسرائيل تُقِرُّونَ بأن هذا الميثاق مُدَوَّن فى التوراة وتقرون بأنه هو الذى يضمن أمنكم وسلامتكم .

ولكنكم جميعاً تأخذون من الدين وأحكامه ما تشاءون وكأنكم تؤمنون بما يرضيكم وتكفرون بما يكلفكم مشقة أو فروضا .

وأنتم تعلمون أن أوامر الله كلُّها عدل وحكمة وخير لكم ولغيركم وتعلمون ما جزاءُ من يكفر من خزى فى الدنيا وعذاب شديد فى الآخرة .

الأديان وأجيال بنى إسرائيل :

إن إيمان بنى إسرائيل وعبادتهم لله فى كل الأزمنة وعلى مر العصور كان حسب المزاج والهوى .

فإن لم يكن الدين دينا يجعلهم صفوة الناس وأفضلهم ولهم أن يفعلوا ما يشاءون دون تحريم ولهم أن يأخذوا من الدين ما يتلاءم وهواهم ويرفضوا مالا يرون فإن لم يكن دينا بهذه الصورة أعرضوا عنه ...

لقد جاءهم موسى بالتوراة وبالمعجزات التى تؤيد صدقه ولكنهم كفروا بكل مالم يتفق وطبيعة نفوسهم الخبيثة .

وجاء بعد موسى رسل كثيرون لهداية بنى إسرائيل فمنهم من استكبروا عليه ومنهم من قُتِلَ ، ومنهم من كذبوه وخالفوه . حتى إنهم آذوا المسيح عيسى ابن مريم الذى جاءَ بشريعة الحب والسماحة والمعجزات وكان يحيى الموتى ويشفى الأبرص والأكمة ويخبر بالغيب وغير ذلك من المعجزات التى لا يستطيعها بشر إلا بإذن الله .

وقتلوا النبى زكريا وكانوا يفعلون ذلك بالأنبياء لأن رسالتهم لم تأت حسب المزاج والهوى فاستكبروا وكذَّبوا وقتلوا .

وليس هذا لأن قلوبهم مُغَلَّفةٌ بغلاف من إيمان خاص بهم بل هى قلوب ختم الله عليها بلعنته التى لا ينجو منها إلا من آمن وقلبه مُسَبِّحٌ بهدى الله وهدايته .

ويقول رب العزة فى محكم آياته :

أنْ يا بنى إسرائيل لقد فعَلتم مع الرسول الخاتم محمد ما فعلتوه بجميع الرسل . برغم أنكم كنتم تتفاخرون بما جاءَ فى التوراة عن وصف نبى آخر الزمان وكنتم تستنصرون به على المشركين وتقولون : « اللهم انصرنا عليهم ببركة نبى آخر الزمان » . ولما جاءَ هذا النبى كفرتم به وآذيتموه .

ورفضتم الإيمان به وقلتم لا نؤمن إلا بما أُنزل علينا .

واليوم تؤمنون بما أُنزل عليكم وفيه إخبار عن دين محمد وصدقه . فكيف تؤمنون بجزء من الكل ... ؟

ثم إذا كنتم قد آمنتم بما أُنزل عليكم فلماذا قتلتم الأنبياء الذين طالبوكم بهذا الإيمان ... ؟

وقد جاءكم موسى بالتوراة فعبدتم العجل ، وأنزلنا عليكم التوراة هدى ونوراً وقلنا خذوا بأحكامها عن قناعة وإيمان واسمعوا لصوت الحق والإيمان وسمعتم إلا أن العصيان هو لغة قلوبكم التى أحبت أنْ يكون إلهها عجلا لا أن تعبد إله العالمين .

فبئس الإيمان :

وإذا كنتم تقولون إن الله قد خصكم بنعيم الآخرة دون الناس جميعا لأنكم صفوته وأحب خلقه إليه .

فلماذا لا تتمنون الموت لتنعموا فى هذا النعيم ... ؟

إنكم لا تتمنون الموت أبداً لأنكم تعلمون أنكم فى ضلال ولهذا فأنتم تحرصون على الحياة ، ويتمنى كل منكم أن يعيش ألف سنة وكأن طول العمر يبعده عن العذاب الذى ينتظر الكفار فى الآخرة .

ولكنكم ذاهبون إليه وسوف ترون عاقبة أمثالكم .

ثم ما هى حكايتكم مع ملائكة الله تحبون هذا وتكرهون هذا فما أنتم وما شأنكم بملائكة الرحمن ... ؟

يوماً تعادون جبريل ، وآخر تكرهون ميكائيل .

إن ما ينزل به جبريل على محمد هو من عند الله لهداية خلقه وبشرى لهم ثم إن من يضع نفسه فى موضع العداء لله والملائكة والرسل فإنه كافر .

وعن دور بنى إسرائيل فى فساد الخلق :

قال جل شأنه :

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ۗ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

«سورة البقرة الآيات ١٠٢:١٠٣»

ويقول ربُّ العزة لنبيه : أن يا محمد لقد نزلنا عليك قرآنا آياته أوضحت كل الأمور التى تهم المؤمنين ولا يكفر بهذه الآيات إلا الفاسق والمتمرد .

وخاصة أولئك اليهود الذين تخصصوا فى نبذ ونقض العهود لأن أغلبهم يحبون العمى والضلال عن الهدى والنور . فهم يتعامون عن الحق والأمثلة واضحة :

فعندما جاءَ سيدنا عيسى برسالته رفضوه وآذوه وعندما بُعثَ محمد برسالته المذكورة فى التوراة كذبوه وخالفوه وهم يعلمون بصدقه ونبوته .

ومنذ أن نزلت عليهم التوراة انقسموا على أنفسهم :

فمنهم طائفة آمنت بالتوراة وأحسنت إيمانها .

- وطائفة نبذت عهود التوراة تمردا .

- وطائفة نبذت عهود التوراة جهلا .

- وطائفة تمسكت بالتوارة ظاهراً ونبذتها باطنا .

وكانت أسوأ الطوائف التى كانت فى زمن سيدنا سليمان .

فماذا فعلت هذه الفئة الفاسقة ... ؟

لقد كان لسيدنا سليمان معجزاته .

- والجن مسخرة له تفعل ما يأمرها به .

- وكان يَعْلَم لغة الطير وغيرَها بما آتاه الله من علم ومعرفة وحكمة .

وكانت هذه المعجزات مماً خصَّهُ الله بها ومن علامات نبوته .

وقد كان لاحتكاك سيدنا سليمان بالجن وتعاملِه معهم أن تصنتت الشياطين وتسمَّعت إلى ما يدور بين سليمان والجن والطير والرياح ، وأضافوا إلى ما سموا أكاذيبَ كانوا يملونها إلى الكنهة ويدونونها فى كتب لهم لتعليم الناس السحر وهكذا انتشر السحر فى عهد سيدنا سليمان لأن الكهنة قامت بتعليمه للبشر إغواء وإضلالاً وتقرُّبا إلى الشياطين .

وهكذا كفرت فئة كبيرة وضلت بتقربها للشيطان حيث اتبعت كتب السحر التى تتلوها هذه الشياطين والكهنة .

ولم يكن سليمان كافراً كما زعم بعض اليهود فمعجزاته ليست سحراً .

واليهود فى كل زمان ومكان يحبون كل ما يفسد الخلق ففى سبى بابل تعلموا السحر من ملكين نزلا وقالا لليهود نحن نعلمكم السحر وهذه مهمتنا التى نَزَلْنَا من أجلها لنبتليكم ونفتنكم حتى يختار كل منكم إما الإيمان الصادق بالله أو السحر القائم على التقرب للشياطين .

فاختاروا .. وأنتم تعلمون عاقبة من يستبدل كتب السحر بكتاب الله وما هو نصيبه من عذاب فى الآخرة . وكان اختيار أكثرهم وتفضيلهم السحر فسلط الله عليهم الطاعون جزاءً وعقاباً .

وعن دعواهم الكاذبة قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات ١١١، ١١٥»

وهذه لفتة كريمة من القرآن توضح تلاعب اليهود فى كل زمان بالكلمات والحروف والجمل وتنبه إلى هذا .

وفى عهد رسول الله محمد ﷺ كان المؤمنون يقولون له وهو يعظهم ويعلمهم ويفقههم فى أمور الإسلام يا نبى الله رَاعِنَا ، بمعنى تأنَ علينا أو راقبنا فيما تلقَّنا حتى نفهمه وحينما سمع اليهود هذه الكلمة «راعنا» وهى كلمة عربية إلا أن مقابلها باللغة العبرية وهى لغة اليهود له معنى السب والإهانة وهكذا كرر اليهود هذه الكلمة مرات مع النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

وحتى يكون أدب المسلمين خالصا مع النبى نَبَّهَ الله المؤمنين ألاَّ يعطوا فرصة لليهود للاستهزاء بنبيِّهم مستخدمين تحريف الكلمات أو معانيها السيئة وهكذا أمر القرآن الذين آمنوا بالانتباه والحذر خاصة مع اليهود والمشركين الذين يحقدون على نعمة الإيمان والإسلام التى ينعم فيها المؤمنون ويحسدونهم عليها ثم إنهم دائما مشكِّكُون فيما أنعم الله على المسلمين من رسول خاتم وقرآن كريم .

فيقولون فى شأن الرسول : إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ، وهذا لأنهم جهلاءُ ولا يعرفون أن الإسلام دين اليسر والرحمة وإن الله حينما يأمر وينهى ويغير ويبدل فلأن قدرته ورحمته تهيئ أسباب الخير والرحمة لخلقه .

ثم إن قوة الإيمان فى نفس المؤمن يجب أن تأخذ من تجارب الأديان السماوية السابقة عظة وعبرة .

فعلامات الإيمان بالله وآدابه واضحة وسمات الكفر واضحة أيضا .

ولهذا ينبه الله المؤمنين بأن يحذروا ضلالات الكافرين فى أى زمن وألاَ يفعلوا مثل ما فعل بنو إسرائيل مع موسى وطالبوه بأشياءٍ تدل على ضعف إيمانهم وكفرهم .

فالمؤمن الصادق هو الذى يتجنب هذه الضلالات ، وينبه الله المؤمنين الصادقين إلى أن اليهود سيحاولون دائما التشكيك وتضليلَ المؤمنين وردَّهم

عن الإيمـان ليس حبـا فيهم ولكن حسداً لهم ، لأنهم يعلمون أنهم على الصراط المستقيم .

ويخاطب رب العزة عباده المؤمنين مؤكداً لهم أن تقربُكم إلىَّ بالصلاة وأداءِ الزكاة والإيمان الصادق هو خير لكم ستجدونه عندى ولا تصدقوا مزاعمهم بأن الجنة خالصة لمن تبع اليهودية أو تنصر وتبع ملَّة النصارى .

واسألوهم فى كل زمان أن يأتوا ببرهان على صدقهم فيما يزعمون وتأكدوا دائما وأبدا أنكم مردودون جميعا إلى الله وأن الأجر الذى لا يقدر والنعيم الذى لا يمكن لبشر أن يتصوره هو نصيب من أسلم وجهه لله ، أى آمن قلبُه إيمانا صادقا وسما إيمانه .

- فأخلص العبادة لله دينا ودنيا .

- وأحسَنَ العمل مع عباد الرحمن .

- وحمد الله على ما أنعم عليه وأعطاه .

ما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين من الجدال حول الأديان :

قدم وفد من نصارى « نجران » وهى منطقة فى شبه الجزيرة العربية للقاءِ رسول الله ﷺ وأتى وفد مماثل من أحبار اليهود وهم رجال الدين والعلماءَ وفى حضرة الرسول تبادلوا الاتهام والتكفير .

فقال اليهود ليست النصارى على دين الحق .

وقال النصارى ليست اليهود على الصراط المستقيم .

وقال مثلهم المشركون الوثنيون الذين ليس لهم كتاب .

واليهود والنصارى كلٌ منهم أهل كتاب لو قرءوه عن يقين وعلموا ما فيه لعرفوا الحق وأن دين الحق هو الإسلام الدين الخاتم .

ويؤدب الله المسلمين ويعلمهم أدب الجدال فى الأديان ، ذلك الأدب الذى لا يرتكز على الانفعال بل يجب أن يقوم على الحكمة والعلم والموعظة الحسنة ، فلا دخل للمسلمين فى هذا الجدل .

وفيما يقولون فهذا الأمر متروك لله يحكم فيه بينهم يوم القيامة .

وكذلك ستجدون فى كل العصور من يُعَطِّلُ شعائر الاسلام .

- فمن يُخَرِّب مسجدا أو يَمَس قدسيته بأى تَصرف .

- أو من يُعَطِّل مكانا مرشحا للصلاة .

- أو من يُسىءُ إلى عبادة الله على شريعَة الإسلام قولا أو فعلا .

- أو من يَمُسُّ شريعة الله بالتأويل والتبديل .

- أو من يُغامِرُ بالافتراءِ على الدين بلا علم أو حق .

وغير ذلك مما يؤثر فى قوة إيمان الناس ، ويصف الله مشاعر هؤلاءِ ويتوعدهم ويبين لهم أنهم أنفسَهم لو تذكروا ما فعلوا لوجدوا أن هناك خوفاً يتملكهم فى كل تصرفاتهم وهذا تحذير إلهى كان يجب أن ينتبهوا له ويجب أن يتنبه أمثالهم إليه .

وهؤلاء لهم فى الحياة الدنيا عقاب إلهى يحسون فيه بالخزى والمذلة .

ولهم فى الآخرة عذاب من ربهم آه لو يعلمونه .

وقوة الإيمان يجب ألا تلتفت لهذه الصغائر فالله له الأرض بمشارقها ومغاربها والسماءُ بأبعادها والخلقُ بأولهم وآخرهم .

والمؤمن الصادق يتعلق قلبه بربه أينما وحيثما يكون ، ويجب أن يكون عابداً قوياً لا يخاف فى العبادة أحداً من الخلق ، فَوَجْهُ الله أمامه فالله قد وسع كرسيُّه السموات والأرض فَلْيُعَطِّل من شاءَ شريعة الله وله من الله عقاب شديد .

ثم إن رب العزة الذى يأمر بعدم الجدال حول من له الجنة ومن سيكون فى النار، وحدد درجة ظلم من يعطل شريعة الإسلام، يؤكد أهمية الإيمان بالله وبأنه لم يتخذ ولدا كما قال المسيحيون إن عيسى ابن الله، وكما قال اليهود عُزَيْرٌ ابن الله، وكما قال العرب الملائكة بنات الله.

فالله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوا أحد.

وكذلك فإنه غنى عن العباد ومُنَزَّهٌ عن كل افتراءاتهم مُبْدع لكل شىء خالق لكل الخلق، غنى عن كل ما يملكون إذا أراد شيئا وقضى أمرا يقول له كُنْ فيكون.

فليعلم كل من يتفلسفون فى أسرار الكون والحياة والربوبية والألوهية.

ومن يبحثون عن وجود الإله أن آياته واضحة جلية فى خلق السموات والأرض، فلو استخدموا عقولهم وفطرتهم لعرفوا وتأكدوا، ولكنهم يفعلون مثل الجهلاء الذين اشترطوا أن يؤمنوا إذا كلمهم الله أو راوه أو جاءتهم آية تخصهم.

وهنا وقفة إلهية لصاحب رسالة الحق ودين الإسلام فيقول الله عز وجل لسيدنا محمد.

- إنك مرسل بالحق.

- بَشِّر المؤمنين بالجنة.

- وأَنْذِر الكافرين بالعقاب.

ولا تسألْ من كفر عن سبب كفره ورفضه للإيمان.

فأهواء اليهود والنصارى غلبت عليهم حتى أنهم يرون فى ديانتهم الحق والصواب مهما توفرت لهم من علامات الإسلام والدين الحق.

وما عليك يا محمد إلا أن تُعَلِّم الخَلْق جميعا أن هدى الله هو الهدى.

وان ما جاءت به رسالة الإسلام هى الصالحة الخالدة الباقية لهداية الناس حتى يرث الله الأرض وما عليها .

ولن يؤمن من اليهود أو النصارى إلا من قرأ الإنجيل والتوراة الأصلية دون تحريف ، قراءة بالقلب والفطرة .

وأين منهم هذه الكتب المقدسة .. ؟

ويشير القرآن إلى بنى إسرائيل كنموذج لِخَلْقٍ أنعم الله عليهم نِعَما لا تُعد ولا تُحصى ، وفضلهم على جميع الخلق فى زمن موسى وأنبياءِ اليهود ، وكان هذا التفضيل وهذه النعم دافعاً لهم على أن يجحدوا نعم الله ويتنكروا لأنبيائه .

ولم يتقوا الله بما آتاهم من خير ، ولم يعملوا حساباً ليوم الاخرة الذى لا ينفعهم فيه مال ولا فداء ولم يشفع لهم إلا عملهم الصالح .

وهكذا تبدو صفات اليهود وقسماتهم القبيحة التى تؤكد أنهم فقدوا كل معايير جمال الفطرة وفقدوا معنى التفضيل والاختيار ، فتلوثت عقيدتهم ، وما زادهم هذا التلوث إلا قُبْحاً وبعداً عن معايير الجمال الإيمانى التى تُزين المعمار والبناء النفسى للإنسان .

الباب الرابع

الفصل الأول

قصة سيدنا إبراهيم

الفصل الثانى

الدين لله والشرائع جميعا دين واحد

الفصل الثالث

قوة اليقين والإيمان
والصفات التكميلية لجمال المؤمن

الفصل الأول

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال تعالى :

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

« سورة البقرة الآيات ١٢٤، ١٢٩ »

إبراهيم وفطرته السامية :

ينتقل بنا القرآن الكريم فى سورة البقرة (١٢٥) إلى الأصول الجمالية فى إيمان خليل الله إبراهيم الذى جاهد بفطرته باحثا عن أيمان بإله واحد قوى .

فلقد ولد فى زمنٍ كُلٌّ من فيه يَصْنع الأصنام ويعبدها وكان والده آزر أيضا من البارعين فى صناعة التماثيل التى تسمى أصناماً وكان يعيش على هذه الصناعة ، ولما أدرك إبراهيم ووعى هذا الضياع الذى يعيش فيه قومه وأهلهُ ، بدأ يبحث عن الله .

فقال لما رأى القمر هذا إله ، فلما غاب قال لا يمكن أن يكون هذا الذى ذهب وغاب إلهاً ، ولما رأى الشمس قال هذا ربى ولما غابت وأفلت قال انى لا أحب الآفلين .

وهدته فطرته إلى الله الذى يُسَيِّرُ هذا الكون ، وحطم الأصنام ووضع الفأس التى حطم بها فى كتف كبير الأصنام ، وتأكد القوم أن إبراهيم هو الذى فعل هذا بأصنامهم .

حرق إبراهيم :

وأحضروا هذا الذى كَسَّر الأصنام أمام النمرود وهو ملك أَلَّهَ نفسه على قومه وهو كبير للآلهة التى يعبدها قومه .

وسألوه : هل فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم ... ؟

فأجاب : اسألوا كبيرَهم هذا إن كانوا ينطقون ... وأشار إلى الصنم الكبير الذى وضع الفأس على كتفه .

ولما دار حوار بين إبراهيم والنمرود .

وقال النمرود: أنا ربك .

قال إبراهيم: إن ربى يحى الموتى .

فقال النمرود: وأنا أُحى الموتى فأنا أستطيع أن أقتلك او أن ابقى عليك حياً .

قال إبراهيم : إن ربى يأتى الشمس من المشرق فهل تستطيع أن تأتى بها من المغرب ؟

فبُهت هذا النمرود الكافر وأمر بأن توقد نار حامية ويلقى فيها بإبراهيم.

وأُوقدت النار وساقوا إبراهيم حيث وضعوه فى منجنيق ليلقى به فى وسط هذه النار الحامية .

ومن ثقة إبراهيم فى ربه وعمق الإيمان فى قلبه أن اتاه جبريل وهو فى رحلة القذف من المنجنيق إلى النار .

وقال له : يا إبراهيم أما لك حاجة منى .. ؟

فرد إبراهيم : أمَّا لَكَ فَلاَ .

إنى أفوِّض أمرى للذى خلقنى وهدانى وفطرنى أُوجه له وجهى خاشعاً راضياً حامداً شاكراً .

فقال الله تعالى :

يا نارى كونى برداً وسلاماً على إبراهيم، وتحولت النار بقدرة الله فى عينى إبراهيم فردوساً من الجنة .

وإذْ بإبراهيم يخرج منها كما أُلقى بها لم تمسَسْه النار بسوءٍ .

وكانت هذه المعجزة آيةً من آيات الرحمن .

ولإبراهيم الخليل مع ربه دعوات دعا بها ربه ليطمئن قلبه ، فيوماً طلب من ربه أن يريَه كيف يحيى الموتى .. ؟

وفى عتاب إلهى لإبراهيم ولوم على هذا الطلب يرد إبراهيم: يا رب أطلب هذا ليطمئن قلبى .

فقال له رب العزة احضر طيراً ومزقة قطعاً وضع كل قطع على جبل ثم ادعُ إليك الطير يأتك سعياً ...

وفعل واطمأن قلب إبراهيم .

ولقد ترك إبراهيم وزوجتُه سارة ومن آمن به أرض العراق التى بها النمرود وهاجر إلى أرض كنعان ثم انتقل إلى مصر حيث أهداه فرعون مصر أميرة مصرية اسمها هاجر ، ولما عاد إلى كنعان تزوجها برغبة من زوجته سارة التى لم تكن تلد . ورزقت هاجرُ إسماعيل .

وكانت إرادة الله الذى يُحكم التدبير ، وأوحى إلى إبراهيم أن يتركها وابنها اسماعيل فى مكة وحيث يقول دعوته المأثورة وهو يَدَعُ زوجته وابنه فى هذا المكان الموحش ويودُعَهما .

﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

« سورة ابراهيم الآية ٣٧ »

وقد كان هذا ثانى ابتلاء من الله لإبراهيم بعد القذف فى النار .

أحلام الأنبياء :

وكان الابتلاء الثالث حينما رأى فى منامه أنه يذبح إسماعيل .

ولما كانت أحلام الأنبياء كالوحى أمراً يجب تنفيذه ، فقد ذهب إبراهيم إلى ابنه الطفل وقال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى...

فقال إسماعيل : يا أبَتِ افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاءَ الله من الصابرين

وهَمَّ إبراهيم بذبح فتاه وهو راقد على بطنه رحمة من إبراهيم حتى لا يرى إسماعيل منظر السكين فى يد أبيه ، وتتساقط الدموع ساخنة من عينى إبراهيم وتبلل لحيته الطاهرة .

والسكين فى يد إبراهيم تحز رقبة إسماعيل ولا تذبحه وملائكة الرحمن يشهدون صدق الأنبياءَ وابتلاءهم وصبرهم .

وإذ بجبريل يهبط من السماء حاملاً كبشاً سميناً من الجنة ليذبحه إبراهيم بدلاً من إسماعيل فداء للصبر والإيمان العميق فى قلب إبراهيم وابنه إسماعيل .

هذه هى نماذج من ابتلاء الله لسيدنا إبراهيم ينفذها راضياً عن طيب خاطر أدَّاها وأتَّمها وقام بها حق القيام فكان له حظ من الله ونعمه .

إذ قال له ربه إنى جاعلك للناس إماماً .

بمعنى أنه سيكون من نسلك الأنبياء والرسل وأنك سوف ترفع قواعد البيت وتطهِّره وعلى ملّتك سيكون جميع الأنبياء .

وهذا عهد من رب العالمين لك ولذريتك الصالحة ، أما الظالمون فهم خارج هذا العلم ولا يمكنهم أن يحظَوْا بشرف الإمامة للخلق .

وهكذا تتجلى فى هذه النسمة الإيمانية عدة مبادئ منها :

- قوة الفطرة التى يحملها الإنسان والكامنة فى نفسه ولو استخدمها بصدق لاهتدى للحق .

- أهمية الحمد لله وقت الشدة والابتلاء .

- أن الله قوى وفعال لما يريد .

- وأن عهد الله لإبراهيم بإمامة الناس ولذريته الصالحة سواء أبناءُ سارة وهم إسحق وذريته حتى عهد المسيح وأبناءُ هاجر وهم إسماعيل وذريته حتى آخر الأنبياء محمد ﷺ .

قدر الله واستجابته لدعوة ابراهيم :

لقد قدَّر الله أن يكون فى الموضع الذى أودع إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل بيت له ، آمنٌ للمقيمين فيه وللحاجين إليه ، إضافة إلى أنه مكان لزائره ثواب من الله حاجاً جاءَ أو معتمراً .

ثم إن الله كرم خليله إبراهيم بأن شرع فيه ركعتى الطواف أى أن على كل حاج أو معتمر أن يصلى ركعتين فى هذا المكان .

وعندما حمل إبراهيم وإسماعيل عهد الله وأمانته ورسالته فى هذه الأرض والحفاظ على أمنها ومثابتها للناس دعا إبراهيم ربه أن يحفظ على هذه الأرض وهذا البلد أمنها بقدرته ورحمته وأن يرزق أهله من الثمر والخير ما يجعلهم دائمين بالحمد والشكر .

ووعد الله برزق الجميع من آمن أو كفر لأن الرزق رحمة دنيوية تخص الخلق جميعا أما الحساب على الإيمان والكفر فهو فى الآخرة .

وعلى هذا العهد جَدَّدَ إبراهيم وإسماعيل بناء أول بيت الله فى الأرض ودعيا الله أن يتقبل منهما وان يجعلهما وذريتهما مسلمين لله قادرين على أداء العبادات التى يُكلَّفون بها .

ودعا إبراهيم وإسماعيل ربهما أن يبعث فى ذريتهما رسولاً يذكرهم بأيات الله ويُعلِّمهم الإيمان والحكمة وماتكمل به نفوسهم لطاعة الله وحسن عبادته ويُجنبهم الشرك والمعصية .

وكان عهد الله ووعده بالاستجابة لدعوة إبراهيم وكان على إبراهيم وإسماعيل ونبينا محمد أن حملا رسالة الإسلام على مِلَّة الخليل إبراهيم .

وفى الجانب الآخر من ذرية سيدنا إبراهيم أَوصى إبراهيم ابنه إسحق الذى أنجب يعقوب وذريته أن يكونوا على مِلَّة أبيهم إبراهيم بما اصطفاه لهم ربهم من إسلام لله الواحد الأحد الذى لا موجود بحق ولا مقدر للأقدار ومالكاً للملك سواه .

الفصل الثانى

الدين لله والشرائع جميعا دين واحد

قال تعالى :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾
وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

« سورة البقرة من ١٣٣، ١٣٦ »

- من هو المسلم ... ؟

- ما هو الفرق بين اليهودى والمسيحى (النصرانى) والمسلم ... ؟

الإجابة عن هذه التساؤلات الأربع تتداخل فى هذه الإجابة الإجمالية التالية :

إن جميع الخلق منذ أن خلق الله أبانا آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها وجميعَ الخلق فى الأكوان الأُخرى التى لا نعرفها كلهم جميعاً مردودون إلى واحد أحد لا إله إلا هو الله .

والله لا موجود بحق سواه وأن كل ما عداه باطل زائل إلا هو « فكل شىء هالك إلا وجهه » القصص .

إذن فجميع العباد المؤمنين يعبدون الله الواحد الأحد .

وجميع المؤْمنين بوحدانية الله منذ أول الأديان هم المسلمون لأنهم أَسلموا .

وهذا يعنى أن المسلم هو الذى أَسلم الأمر لله وأنه أدرك بعقله وفطرته أنه لا موجود بحق سوى الله ولا مقدر للأقدار ومالكاً للملك غيره جل شأنه وعظم مقامه الرحمن الرحيم .

فالله واحد .

والرسل جميعاً حملوا رسالة التوحيد ودعوة الإسلام ، والمؤمنون جميعاً مسلمون.

فالله فى جميع الكتب السماوية هو الواحد .

الاسلام فى التوراة :

تقول التوراة :

العين لا تَشْبَع من النظر :

والأذن لا تمتلئُ من السمع .

كُلُّ تَعَبِكَ الذى تَعِبْتَهُ تحت الشمس تتركه للذى يأتى بعدك . كما يموت الحكيم يموت الجاهل .

باطل الأباطيل الكل باطل .

كما أنك لا تعلم من أين تأتى الريح ولا كيف حال الجنين فى بطن الحبلى كذلك لا تعلم أفعال الله الذى يصنع الجميع .

وهكذا تقرر التوراة وحدانية الله وأن كل شىء هالك إلا وجهه .

هذا هو الله فى التوراة كتاب الله الذى نزل على سيدنا موسى هدى ونوراً لبنى إسرائيل .

وكانت مرحلة الإيمان بالله فى ذاك الزمن متلائمة ومراحلَ نضج الإدراك وتطور الجنس البشرى ففى زمن سيدنا موسى وهو عصر الفراعنة عصر العنف والعنفوان والجبروت كانت التوراة تنص على شريعة العدالة .

والعدالة فى هذا العصر هى رد الضربة بمثلها .

فقد نصت التوراة على « العين بالعين والسن بالسن » .

الإسلام فى الانجيل :

ثم تأتى مرحلة الإسلام لله وتوحيده فى شريعة الله التى أنزلها على سيدنا عيسى فيقول المسيح فى الإنجيل :

« لاَ تَدْعُوا لَكُم أَباً عَلَى الأَرْض لأَنَّ أَبَاكُم وَاحِدٌ هُوَ الذَّى فى السموات »

« اذْهَب يَا شَيْطَان ، إِنَّهُ مَكْتُوبٌ ، للرَّب إِلهِك تسجد ، وَإِيَّاه وَحْدَهُ تعبد » .

فالمسيحية توحد الله وتدعو إلى الإسلام لله وحده على شريعة تتلاءم والتطور الروحى لخلق الله وظروف الرقى الحضارى الذى ارتقى خطوات عن زمن سيدنا موسى .

وهنا يأتى الإنجيل بناموس الحب وجاء المسيح ليقول فى الإنجيل .

سمعت أنه قيل :

« عُين بعين وسن بسن » أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر .. بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضا ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين .

هذه أخلاقيات سامية شرعها الله منهجا للمسلمين له فى هذا الزمان وقد أمر بها الله لتواجه ظلم الظالمين فى ذاك الزمان .

وليفرض الله شريعة المحبة برغم جبروت المتسلطين فى ذاك الزمان وتعرضت هذه الشريعة لاضطهاد الجبابرة وتعرض المؤمنون بها للحرق والشنق والإيذاء .

وهكذا تعرضت شريعة المحبة لأسوأ المحن واستغل كل ظالم وكل جبار هذا التسامح وتلك المحبة لارضاءِ كبره وغروره والتسلط على كل من يعتنقها دينا وعقيدة .

وكانت هذه هى مرحلة من مراحل التطور الروحى للبشرية نزلت فيه شريعة الله بما يتناسب ونضجها الروحى والوجدانى .

ولما ارتقت الإنسانية واكتمل النمو والنضج الروحى وانتهى زمن العنفوان وزمن المحبة والتسامح بخطواته .

ولِعِلْم الله أنه لن يحدث تغير فى التطور الروحى للبشر لأنه قدَّر هذا وقضى به ، وأن أى تغير سوف يحدث لبنى آدم بناءً على طبيعة الخلق والعقل الذى منحه الله لهم لن يكون إلا فى الحركة الحيَاتيَّة وأدواتها وعلومها الكونية .

بمعنى أن الإنسان قد وصل فى تكوينه الروحى إلى الحد الذى قدره الله له فلن يكون هناك تدرج أو سمو روحى بأكثر مما هو عليه الإنسان .

ولم يبق شىءٌ يُقال له فى إطار الإيمان بالخير والشر والعدل والظلم والإسلام إلى الخالق .

فختم الله الرسالات السماوية بمحمد خاتم الأنبياءِ والمرسلين .

وكان لابد أن تنزل شريعة الله التى أرسلها على لسان محمد ﷺ لتجمع شرائع الله ونواميسَ العدالة والمحبة فى ناموسٍ واحد هو ناموس الرحمة الذى أتى به القرآن .

ذلك الناموس الذى جمع بين العدل والحب الذى يُوصِّل الإنسانية إلى الصراط المستقيم حتى يُنفخَ فى الصور وتفنى الحياة الدنيا وتقومَ قيامة البشر ويبعثوا ليوم الحساب على أعمالهم الدنيوية فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساءَ فعليها .

إذن الله واحد والدين واحد فاليهودية مرحلة تاريخية فى تكوين المزاج الروحى للخلق تهيِّئُ إلى مرحلة فى تطور الإنسان وصلت به إلى نزول الإنجيل ثم إلى مرحلة اكتمال دين الله فى أرضه وخلقه ولعباده وهو دين الإسلام .

والدليل على أن الأديان كلها مراحل نضج لاكتمال الدين الإسلامى يأتى على لسان الرسل جميعاً وكأنهم رسل لدين واحد .

نوح من المسلمين :

فسيدنا نوح يخاطب الكافرين ويقول :

﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

«سورة يونس الآية ٧٢»

إبراهيم مسلماً :

ثم إن خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل يقول ويدعو ربه وهما يبنيان البيت الحرام الذى وضع للناس بمكة .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات من ١٢٧: ١٢٨ »

يوسف الصديق مسلماً :

ويوسف الصديق الذى يحمد ربه على الحكمة التى وهبها الله ، والعلم الذى فقهه فيه وقدرته على تأويل الرؤيا . فيقول :

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

«سورة يوسف الآية ١٠١»

ثم إن موسى ﴿عليه السلام﴾ يخاطب بنى إسرائيل على ملّة الإسلام التى وصّى بها يعقوب ﴿عليه السلام﴾ بنيه :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾.

ويؤكد ملة موسى ﴿عليه السلام﴾ تلك الملة الإسلامية الحنيفية توبة فرعون

مصر الذى غرق فى البحر الأحمر وهو يطارد موسى وبنى إسرائيل عند فرارهم من مصر إلى الأرض المقدسة .

إسلام فرعون موسى :

فيقول فرعون مصر لحظة غرقه :

﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

«سورة يونس الآية ٩٠»

ثم إن سيدنا موسى حينما تحداه فرعون مصر بالسحرة الذين ألقَوا حبالهم فإذا هى حيات تسعى .

فأوحى الله إلى موسى بأن يُلْقِىَ عصاه فإذا هى ثعبان مبين التهم حيات السحرة فآمن السحرة بمعجزات موسى ورسالته التى هى من عند الله قالوا إيمانا بالله واستعانتهم بقدرته من عذاب فرعون لهم :

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾

«سورة الأعراف الآية ١٢٦»

ويأتى أيضاً وعلى لسان سيدنا عيسىٰ ﴿عليه السلام﴾ عندما حمل شريعة المحبة وقاومه الطغاة والكافرون .

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

«سورة آل عمران ٥٢»

هكذا يتبين أن : الله واحد .

وأن الدين واحد .

فها هو نوح مسلماً وإبراهم مسلماً وإسماعيل أبو العرب مسلماً .

وإسحق مسلماً .

ويعقوب مسلما .

وموسى مسلماً وسحرة فرعون آمنوا بدين بنى إسرائيل وأسلموا .

وفرعون وهو يغرق ويتوب إلى الله لحظة الموت يدرك أن الإسلام دين الحق ويوسف مسلماً .

ثم يأتى المسيح والحواريون بإعلان إيمانهم بالله وإسلامهم .

هذا هو دين الله منذ أن خلق الله الأرض وما عليها وإلى أن يرثها .

هذا هو الإسلام دين الخلق ودين العالمين .

ونشبه هذا بما عليه تطور الحياة التى يحياها أطفالنا وصبيتنا وشبابنا.

فالطفل فى طور الطفولة المبكرة له زاد فكرى وروحى ومادى يتلاءم مع تكوينه البدائى .

ثم إن الطفل فى مرحلةأكثر نضجاً يتعلم فى المدارس الإبتدائية لأن إدراكه المبكر يحتاج إلى زاد تعليمى وتربوى يتلاءم ومرحلته العمرية .

ثم فى مرحلة الصبا يتعلم الصبى فى المرحلة الإعدادية ثقافة وتعليما أكثرَ تطوراً وملاءمة .

وكذلك فى المرحلة الثانوية .

ثم الجامعية التى يكون الشاب فيها ناضجاً فتياً فيتزود فى الجامعة بالتعليم العالى .

والإنسان منذ البداية أدبه ربه وانزل عليه الدين بما يتلاءم ومراحل تكوينه ونضجه الروحى .

فكما أن الطفل الذى يتلاءم والمرحلة الابتدائية لا يستطيع أن يستوعب ويدرك علوم الجامعة .

فكذلك الإنسان المبكر لم يكن يتلاءم وتكوينه ومزاجه الروحى سوى الوصايا العشر وشريعة العدل .

ثم لما ارتقى وازداد إدراكا كانت شريعة المحبة التى نزل بها عيسى .

حتى تم نضجه الروحى فكانت شريعة العدل .

وهكذا قدر الله وهكذا كان دينه لمن أراد أن يسلم الوجه والقلب للرحمن الرحيم .

فالذى يقبل اليهودية فهو قبل مرحلة من الشريعة تتلاءم وقروناً ماضية.

كان البناءُ الروحى فيها غير ناضج وغير سوى ، وكذلك من يتفلسف بالنصرانية فهو يضع نفسه فى مرحلة دينية متأخرة جداً ويغمض عينه عن حقيقة الوجود المقدس والتطور الراقى .

ثم إن الذين يقولون ليست النصارى على شىء والذين يقولون ليست اليهود على شىء هم جميعاً فى وهم وباطل والله يحكم بينهم يوم القيامة .

ثم إن الإنسان الواعى الناضج هوالذى يؤمن بالرسل جميعاً وبالكتب جميعا وبوحدانية الله وغيبه وملائكته ولا يفرق بين رسول وآخر .

ثم لا يتعصب ويستخدم عقله وفطرته سوف يتأكد له أن الله واحد ، والدين واحد وأن الإسلام هو دين الله .

وينتقل بنا إعجاز القرآن الكريم إلى البِدَع والتشويه الزائف للنفس البشرية فيقول العلى القدير :

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

«سورة البقرة الآية ١٣٨»

فَرَبُّ العزة يعْلِمُ المؤمن والكافر أنه خلق النفس البشرية على الفطرة السامية فى إدراك سوىِ وملكات وكوامن راقية ومُهَيَّاة لأن تُطْبع وتُصْبغ على الإيمان .

وأن الله خلقنا وطهَّر قلوبنا تطهيراً لدرجة أن الإيمان حينما يغزو ويتمكن من هذه القلوب يَظْهرَ عليها الإيمان بعلامات ودلائل ، وصبغة الله لا لون لها إلا أنها تبدو فى نور الإيمان وصدق اليقين .

الفصل الثالث

الإيمان وقوة اليقين

قال تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

«سورة البقرة الايات من ١٤٢، ١٤٣»

لماذا يشكك السفهاء فى الإسلام ... ؟

ينتقل بنا القرآن الكريم إلى قضية من قضايا التشكيك فى سلوك الرسول الأعظم محمد بن عبد الله .

فضعفاءُ الإيمان .

وأصحاب الأهواء .

والمتفلسفون والمتهوسون .

والذين فى قلوبهم مرض .

والذين تَكبُرْ فى نفوسهم تكاليف الإيمان وفروضه .

والذين يريدون الاستعلاءَ على الخلق ، وأمثالُهم دائماً وأبداً يشككون فى كل ما هو خير مادام لا يخصهم وحدهم ولا يميزهم عن غيرهم .

فلهذا هم يشككون فى أى تصرف أو تغيير أو تبديل .

وهكذا فعل السفهاءُ واليهود الذين آلمهم أن يختص الرسول الأعظم محمد ابن عبد الله والمؤمنون معه بنعمة الإسلام القيِّم الذى يجدونه عندهم فى التوراة الحقيقية غير المحرفة ويعرفون أنه الدين الحق إلا أن نفوسهم المتكبرة والعنصرية استكثرت هذا على محمد والمؤمنين معه .

وكيف تأتى هذه الرسالة وتنزل على محمد وتخرج من بنى إسرائيل .... ؟

فالتزموا أساليب التشكيك فى كل تصرف أو سلوك أو توجيه .

تغيير القبلة إلى البيت الحرام وموقف اليهود :

والنبى محمد حينما فرضت فريضة الصلاة وهو فى مكة كانت قبلته الأولى إلى بيت المقدس .

إلا أنه كان متطلعا مشتاقاً إلى وحى من ربه يوجهه إلى الكعبة . إلى قبلة إبراهيم الخليل .

وأكرمه الله ومن تبعه على ملّة الإسلام أن يتوجهوا تجاه الكعبة فى صلاتهم أينما يكونوا فى الأرض .

وليس هذا مقصوداً به مخالفة لليهود أو النصارى فالله خص كل شريعه بقبلة .

فمثلما يتوجه اليهود إلى الصخرة فى بيت المقدس ويتوجه النصارى إلى شروق الشمس . فقد قدر الله أن يتوجه المسلمون إلى بيت المقدس فى بداية الدعوة للإسلام .

ثم تعود القبلة إلى عهدها الأول لتكون إلى أول بيت وضع للناس بمكة ذلك البيت الذى وضع قواعده إمامُ الخلق إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل ليكون مثابة وأمنا .

ثم إن هذا التوجه منصوص عليه فى التوراة والإنجيل ولكن أهل هذه الكتب تعودوا التشكيك فى كل ما يخالف هواهم ولهذا فهم لن يقبلوا قبلة المسلمسن .

ولن يخالف المسلمون أوامر الله ويتوجهوا إلى قبلة اليهود إرضاء لهم .

والحكم فى التوجه إلى الكعبة أمر إلهى لا مناقشة فيه ولا مفاضلة وهو نعمة من الله .

والقبلة التى أمر الله بها المسلمين هى ذات معان ودلالات فى جوهر العقيدة وفى إيمان القلوب .

فتوجه المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى صلاتهم وحجهم وعمرتهم إلى بيت الله الحرام هو جمع للقلوب والملكات والكوامن إلى وجهة واحدة وعلى ملة واحدة وغاية واحدة هى إسلام الوجه والقلب لله الواحد القهار والإيمان بما أنزل على الخلق من كتب وما بعث لهم من رسل وما ختم به عليهم من اكتمال الدين الواحد .

ثم إن إسلام الوجه لله ليس طقوساً تؤدى ومظاهر لتأليه الله أو التظاهر بعبادته .

والإسلام لله سلوك وأفعال سامية يؤديها المسلم عن يقين بكوامنه وجوارحه وفى افعاله وأقواله حسب ماأمر الله ونهى عنه .

فالقول المعروف للناس إسلام لله .

والبر بالخَلْق إسلام لله .

والعفو عند المقدرة إسلام لله .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإيتاءِ ذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إسلام لله والابتعاد عن الفحشاءِ والمنكر إسلام الله .

فالإسلام هو شريعة العدل وموازين الرحمة ومنارة النور للقلوب والأفئدة ومظلة الأمن للخلق جميعا وناموس الحب والمحبة بينهم .

فالإسلام سلام للفرد فى الدنيا والاخرة وسلام للعالمين وتعاطف وتواد .

ومن يعمل صالحاً وهو مسلم فقد فاز فى الدارين الدنيا والآخرة .

فلماذا لا نكون من الفائزين ...

وعن الطريق إلى الإيمان وقوة اليقين

قال تعالى :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾
وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

«سورة البقرة من ١٥١: ١٥٧»

إن التكاليف الإيمانية التى يُكلف الله بها المسلم ليست مجرد أوامر من رب يأمر ليطاع فالله غنى عن طاعة الخلق جميعا .

هو يكلف بأوامرَ ونواهٍ تحقق العدال والخير والسلامة للبشر .

فمثلا يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاءِ والمنكر .

فَتَصوَّرْ أنك ظُلمت وليس هناك قانون للعدل فماذا سوف تكون عليه حالك فى قانون الغابة والظلم والجبروت ... ؟

وتَصَوَّرْ أن كرامتك وحرماتِك انتُهِكت وليس هناك ضمير أو قانون أو تحذير فماذا سوف يكون عليه حالك .. ؟

إذن أوامر الله لك ونواهيه لسلامتك فهو غنى عن العالمين .

ثم إنه هو الخالق للنفس البشرية ويعرف مطالبها وحاجاتها والنواميس اللازمة لحياتها وارتقائها وما يلزم لحياتها ولخيرها وشرها .

فينزل فى تشريعه قوانين للرحمة والعدل فمن الضرورى أن يَأمُر فَيُطَاع ويَنهَى فنسْمع .

ولهذا فقد أرسل فى ختام رسالة الإسلام فى الأرض خاتم الأنبياء يتلو آيات ويُزكّى النفوس وينقّيها ويُعلّمها الهدى ويعطيها الحكمة الموصلة إلى الفوز العظيم برضا الله، ويُعَلّم الخلق جميعاً علماً ينفع وفكراً يرتقى بالسلوك الآدمى إلى مصافّ الإنسانية السامية الراقية ، عِلْماً يُحقّق للبشر القدرة على إدارة الكون فى الدنيا ويقودهم إلى نعيم الآخرة .

ومع هذا التدريب الإلهى للخلق على قيادة أنفسهم بالعلم والحكمة يحدد للمؤمنين أن كل عمل أو فعل ينسجم مع تعاليم الله وأوامره وذكر الله فى كل تصرف سوف يكون متفقا مع العدل والرحمة والحسنى ولهذا سيكون النجاح والفلاح نصيبَ كل من يُراعى الله فى فعله وقوله .

وفى هذا دلالة على شكر الله وحمده ، ومَنْ شكرَ الله زاده ومن حَمده أجزل له العطاء .

ثم يؤكد الله أن الدين وتكاليفه يُسْر وليس فيه عُسر إلا أن البشر هم الذين يعقّدون أمور الدين .

فالمضلّلون والكفار والمشكّكون والمنافقون والشياطين من الإنس والجن يصُعبون كل أمر ويزيّنون الوساوس ويواجهون بكل ما يملكون من قوة حركة الحياةِ ومسيرة التدين .

وما على المؤمن الصادق إلا أن يواجه كل هذا بالصبر حتى يَعبُر هذه الضلالات ويستعين بالله على تجاوزها ومواجهتها .

ثم ما هو الصبر ... ؟

ولماذا الصلاة .. ؟

هل يعنى الاستعانةُ بالصبر انتظارَ الفرج أو التقَوْقعَ والسلبيّةَ .

إن الصبر يعنى التزام العقل والحكمة وإعداد النفس وتهيئة الإرادة ، وتجميع القوى الروحية والعقائدية ، وتَسْمية الملكات والاستعداد لتَدبّر أمور العقيدة لتكون قوى الصبر قادرة على مواجهة القوة بالقوة والعدلِ بالعدل والحكمةِ بالحكمة والبطشِ بالبطش .

فالاستعانة بالصبر هو تجميع قوى الإيمان وأسلحتِه للتصدى لكل ما يمس العقيدة وأمور الحياة وحركتها .

والاستعانة بالصلاة يعنى الاقتراب من الله القوى العظيم ففريضة الصلاة توجب هذا الاقتراب خمس مرات فى اليوم .

وهذه الفروض تحقق الالتصاق بحكمة الحكيم ، والاستزادة من قوة الخالق والإيمان بأن أمور الإنسان والخلق جميعاً مرهونه برضا الله وقدره .

فلا رحمن رحيماً غيرهُ .

ولا مُنعم سواه .

وأن الناس جميعاً سواء .

وأن التوكل على الله سلاح المؤمن .

وأن التزود من علمه هدى وصلاح ونور .

إذن فالاستعانة بالصبر والصلاة حكمة إلهية .

فمنها يستنير القلب ويتزكّى العقل وتهتدى البصيرة وهذه سمات المؤمن القوى الصالح وزاد كوامنه ثم إن الصلاة تعد آلة إعمار الكون وبقاء حركة الحياة .

والاستعانة بالصلاة وحكمتها لا يعيها إلا كلُّ من يتعمق فى حركة الحياة وإعمار الكون .

فمن يصلى يقف أمام الله يعبده ويرجو رحمته ورضاه ومن يقف أمام الله لابد وأن يستره رداء وكساء ومن يريد كساءً لابد وأن يبحث فى شراءِ قماش ومن صنع القماش سبقه من نسج وسبقه من حلج ، ومن حلج سبقه من صنع آلة الحلج والنسج ، ومنْ صنع آلة الحلج سبقه علماء فكروا واخترعوا ومن اخترعوا سبقهم من علَّم ودَرَّس وفكَّر ودبَّر ومن حلج أيضا سبقه من زرع وحصد وجمع القطن أو الألياف أو ربَّى الماعز والأغنام والإبل وغيرها مما يُؤخذ منها الصوف والوبر .

نخلص من هذا إلى أن دائرة إعمار الكون وحركة الخلق تبدأ وتنتهى عند إرادة الله وأمام حضرته .

فالصلاة هى عون وحركة وإعمار وإحكام لمضمون الاستخلاف الإلهى للبشر على وجه الأرض .

ويُدلى القُرآن بجزاء ابتلاءِ المؤمن الحق الذى قد يفقد حياته الدنيوية ويقتل فى سبيل الله بإيمانه وجهاده ومواجهته لقوى الضلال والإشراك والكفر .

هذا المؤمن الذى جَادَ بروحه فى الحياة الدنيا ، يأمرنا الله بألاَّ تقول أو نَعتقد أنه مات ولكنه حى وله حياة هى فى علم الله .

وهى حياة من نوع آخر وتقدير لا نعلمه ولا نتصوره ولا تدركه عقولنا .

وهذه الرمزية الإلهية مَدْعاة للتَأمل والتفكير .

ومدعاة لزيادة اليقين بالإيمان الحق .

ومدعاة لأن يتأكد الإنسان أن حياته هذه ليست إلا وسيلة إلى حياة الخلد ونعيم الله المقيم .

فالحياة ما هى إلا اختبار للإيمان والإسلام وما أحلى أن ينجح المؤمن فى اختبار يعبر به إلى الجنة .

واختبارات المؤمن ومواجهته لكل ما يصيبه من بلاءٍ هى مزيد من التأهيل الإلهى له على قوة الإيمان ليرتقى درجات أعلى من النعيم .

فليس البشر إلا درجات فى الدنيا .

وكذلك ليسوا إلا درجات فى الآخرة ولا ينال الدرجات العلا إلا الصابرون هؤلاءِ الذين لا يلجئون إلاَّ لله وحده إذا أصابهم بلاءُ أو عسر .

ثم يعلمون أن الخير من عند الله فيحمد عليه ، وأن الابتلاءَ من عند الله ويجب الصبر عليه بقوة الإيمان والعزيمة .

ويثقون فى أن كل شىءٍ من عند الله وأن الجميع إليه راجعون .

وهؤلاءِ الصابرون العابدون الحامدون الشاكرون لهم عند الله جزاء وثواب عظيم .

ويقول سيدنا محمد ﷺ عن الصابرين :

إذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ .

قال الله (تعالى) للملائكة :

« أَقبَضْتُم رُوح وَلَد عبْدِى ... ؟

فيقولون ... نعم .

فيقول الله ... أَقبَضْتم ثمرةَ فُؤاده ... ؟

فيقولون ... نعم .

فيقول (تعالى) ... ماذا قالَ عبْدِى ... ؟

فيقولون ... حَمِدك .

فيقول الله ... ابنُوا لِعَبْدِى بيْتاً فى الجنَّة وَسَمُّوه بيت الحَمْد .

هذا هو فضل حمد الله وشكره والصبرِ على ما قضى وقدَّر .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات من ١٥٨: ١٦٤»

وماذا عن الصفات التكميلية لجمال المؤمن ... ؟

يؤكد القرآن للمؤمن أن التكوين الروحى يختلف باختلاف الممارسة الإيمانية .

والمثال فى ذلك أن الله يفرض فروضاً ويقرر شرائعَ واجبةَ التنفيذ إلا أن الذى يُنفِّذ هذه الشرائع ويزيد عليها إيمانا واحتسابا لوجه الله فله عند الله درجات العلا وفى الحج مثال على ذلك . فالله فرض السعى بين الصفا والمروة للحاج وللمعتمر فهناك من يؤدى الشعائر بتمامها وكمالها ، وقد يزيد عليها الطامع فى عطاء الله وكرمه الراغبُ فى درجاتٍ أعلى تقرُّباً من الله والله يزيد الطامع والراغب ثواباً ونعيما لأنه زَادَ إيمانه جَمالا بحب الله .

ثم إن الله يصور الإنسان الذى يحل عليه غضب الله ويلعنه بصورة المنبوذ الذى خسر الحياة الدنيا والآخرة وحلت عليه لعنه الله التى سخر لها ملائكة وجنوداً تخصصوا فى لعنة هؤلاءِ الملعونين الذين تَبدو صورتهم فى عتمة القلوب وضيق الخلْقْ وبهيميَّةِ التصرف والسلوك وعمىَ البصيرة ، هذا غير ما يصيبهم من عذاب فى القَبْر وعذاب الجحيم فى الآخرة .

إلا أن رحمة الله الواسعة التى تسع كل شىءٍ فى الكون وتفتح أبواب التوبة والمغفرة ترد هؤلاءِ الملعونين إلى مملكة الرحمة فيما لو تابوا وعادوا إلى حظيرة الإيمان وأصلحوا فى أعمالهم وعباداتهم إصلاحاً يؤكد توبتهم ويبين أنهم استلهموا نور الإيمان فصدقوا التوبة وطمعوا فى رحمة الرحمن الرحيم .

ومثلما يتجمل الطامع فى درجات علا فى الجنة بمزيد من الإيمان .

فإن الذى يتوب بعد كفر يتجَّمل بقبول توبته بعد أن غلب هواه وهجر جهله ورجم شيطانه فتزين بنور التقوى وصدق الإيمان .

وخرج من دائرة الكفر التى هى دائرة اللعن وخلود العذاب الذى لا يخفف ولا ينقطع.

ويؤكد الله للمؤمن الذى صدق إيمانه بوحدانية الله .

ويؤكد ذلك للكافر حتى يتبين الرشد قبل فوات الأوان، ويعطى دلالات على قوته وربوبيته فهو خالق السماوات والأرض فهل من خالق غيره ...؟

وهو الذى جعل الليل مظلما والنهار مبصراً لحكمة قدرته فى ميزان الحياة ولوازمها.

وهو الذى وضع للحياة قوانينها التى يستكشفها الإنسان ويستفيد منها فى تنظيم حياته وترتيب شئونه وعلى سبيل المثال قوانين الطفو التى استخدمها فى صنع السفن التى تسير فوق الماءِ بما فى ذلك من نفع للبشر وتبادل للخير والمنافع على سطح الأرض.

ثم هو الذى أنزل المطر الذى منه يَحيا الناس ويعمر الكون وتوجد الخليقة والكائنات جميعا.

ثم هو الذى سخر الرياح لنفع الخلق بما عرفوه من أسرار الرياح والسحاب وما لم يعرفوه حتى اليوم ، أليست هذه آياتٍ على قدرة الله الذى لا يُعبد أو يُحمد غيره ... ؟

وكذلك أليست هذه آيات ليتبيَّن الناس أنه ليس هناك من يُماثل الله قدرة ، وأن الله هو وحده صاحب القوة ذو العرش العظيم فى ثوابه وعقابه...؟

ولن ينتفع الكافرون بعباداتهم لغير الله وحبهم لكل زائل ولن يكون لهم عودة إلى الحياة الدنيا حتى يجدوا فرصة أُخرى للتوبة بعد أن يتبينوا أنهم ضلوا وأنهم فى عذاب الله خالدون .

الباب الخامس

الفصل الأول

الحلال والحرام فى دين الاسلام

الفصل الثانى

معانى البر فى القرآن

الفصل الثالث

تشريعات الرحمة فى القرآن

الفصل الأول

الحلال والحرام فى دين الإسلام

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات من ١٦٨ : ١٧٣»

إذا صنع إنسان آلة أو ماكينة فإنه يضع لها «كتيبًا» يوضح الأعمال الصالحة لكفاءتها والأخطاء المسببة لأعطالها وتخريبها.

وكل من يشترى هذه الآلة يلتزم بهذه التعليمات حفاظا على أمواله التى أنفقها فى شرائها وضمانا لتحقيق الغاية من امتلاك الآلة.

والصانع أو المخترع لعلمه بما صنع هو الذى يحدد ما ينفع وما لا ينفع.

والله الذى خلق الإنسان يعلم كل شىء عن هيكله البنائى وحاجاته الوجدانية والمادية والروحية وحاجاته الاجتماعية التى تُؤَلِّف بينه وبين الخلق القريبين منه أو البعيدين عنه.

وإذا كنا ننفذ كلام الصانع أو المخترع دون مناقشة.

فلماذا لا ننفذ كلام الخالق المبدع دون جدال أو تساؤل... ؟

والله حرم ما يضر وحلل ما ينفع ، حرم الخبائث ، وحلل الطيبات.

وما يأتى من الله فهو رحمة مهداة لخلقه وليس عقابا أو حرمانا أو ظلما.

وإذا أخذنا نماذج من التحريم والتحليل ثم قمنا بالبحث سوف نجد أن هذا التحريم وذلك التحليل ضرورة لها مبرراتها وأهميتها فى تعمير الكون والحفاظ على أمنه وسلامته.

لقد حرم الله الكبائر ومنها الشرك بالله ، ذلك الذى كان يمثل فى الجاهلية عبادة الأصنام أو عبادة ما هو غيرُ الله.

وفى عصرنا لم يعد هناك أصنام ولكن هناك عبادة النفس والتعصب للعائلة أو الجنس البشرى والميل للأهواء والكبرياء والتمسك بالعرق.

وهذا هو أخطر أنواع الشرك لأنه شرك يكمن فى إدراك الإنسان ويقوده إلى الهاوية.

فالإنسان الذى يتخذ نفسه صنما أو يعبد رأيه ويقدس هواه ومصلحته وتشغله رغباته وماديات ينطبق عليه قول الرحمن :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

«سورة الجاثية الآية ٢٣»

هذا الإنسان قد اتخذ نفسه إلهًا وجعلها صنماً مجرداً يحرق لها أعواد البخور ويقدم لها القرابين المذبوحة من مساكين البشر وضعفاء الخلق.

والله غنى عن العالمين وإيمانهم به ، ولا يضره الإشراك به إلا أنه رحيم بخلقه رؤوف بهم وهم جميعا فى حاجة إلى ناموسه وشريعته التى تضمن لهم سلامة الحياة وأمن الوجود.

والمشرك هو الذى يرى فى إلهه سواء أكان صنما أم نفسه أم عنصريته أم هواه تميزاً على غيره من البشر.

وهذا المشرك سوف يقضى حياته فى سجن من المرايا كلما تطلع إلى جدار لم ير فيه إلا صورته .

سوف تكون نفسه حجاباً بينه وبين الله وبينه وبين الخلق والحقيقة والعدل ، وعن هذا النوع من البشر يقول العزيز الحكيم :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

«سورة يس الآية ٩ »

وهذا السدُ من منطلق تأليهِ النفس فلا ترى ما وراءَها من حقٌ عليها للخلق وما أمامها من نور يرشدها للصواب .

وما فى أعينها من فطرة تهدى سواءَ السبيل ، هذا السَّدُ هو تلك النفس الأمارة بالسوءِ بأهواءَها وشهواتها .

ويقول الله لداود :

« اقطع شهواتك .. وتحبب إلىٌ بمعاداة نفسك ، ضعنى بين عينيك وانظر إلىٌ ببصر قلبك واعلم انه ما اطمأن عبد إلى نفسهِ إلا وكلتُه إليها فأهلكته »

وفى نفس المجال يقول المسيح :

« من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » .

ويقول رب العزة لبنى إسرائيل عندما عبدوا عجل السامرى الذى صنعه لهم .

﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

«سورة البقرة الآية ٥٤»

والله الذى خلق النفس وعلم بكُنْهها قال عليها إنها عقبة ووضعها فى القرآن موضع تساؤل وتنبيه فيقول :

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾

«سورة البلد من الآيات ١١ : ١٣»

فهو بقدرته يرى أن النفس أمر يصعب على البشر فهمها . ولهذا فهى من الصعوبة لدرجة أن الإنسان يصعب عليه اقتحامها وكبح جماحها .

وعلى الإنسان أولاً أن يحرر رقبته من عبودية ذاته لذاته وأن يحرر إرادته وفطرته من سجن النفس وأهوائها .

والإنسان إذا بدأ بنفسه وحررها من عبوديتها لهواها استطاع أن يفك قيود الاستغلال والاستعباد للبشر .

وعلى هذا فإن قمة الشرك المعاصر الذى يمارسه البشر هو عبادة النفس، وهو أشدُّ أنواع الحرام ، لأنه يدخل الإنسان فى أخطر أنواع المحرمات ويضعه فى هاوية الاقتناع بكل ما حرُم متاعاً له ولهواه .

ولهذا فإن الله يضع الشرك فى مصاف الكبائر التى لا تغتفر لأنه يعمى العين والبصيرة والعقل ويعطل الفطرة ، ويطمس مكامن الروح .

ولهذا يقول جل وعلا :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾

«سورة النساء الآية ٤٨»

لأن الشرك يقطع المدد الروحى الذى يغذى الفطرة الآدمية فتموت الروح وتتلاشى الفطرة .

ولأن الشرك بمثابة جدار أو حائل بين الحياة والموت فمَنْ لا إله له لا وجود له ، فالزاد الفطرى للإنسان هو الحياة للعقل والحس للملكات والحركة للكوامن ، والنور للبصيرة ، والإشراق للجوانح .

وما شأن كائن يتحرك دون هذا الزاد وما نوعه .. ؟ شأن ذلك شأن زهرة عباد الشمس تستمد حياتها من الشمس فإذا اتجهت إلى القمر ماتت لأنها مرتبطة بحبل سرى إلى الشمس وتستمد منها حياتها .

وعبادة الله والإيمان بما حلل ليس تسلطاً أو تجبراً من الله ، ولكنها أمور العبادة التى تعلم من أين تكون الحياة وكيف تستمر وكيف تدوم فى نقاءٍ وارتقاءٍ ... ؟

تحريم الزنا .. ولماذا ... ؟

وحرم الله الزنا لأنه يمس أعظم قدسية من قدسيات الخالق البارئ المصور .

فمن جراء الزنا تضيع الأنساب وتختلط ، تشترى النزوات والشهوات والأهواء وتطغى على العفة والطهر والنقاء ، ويذهب العقل وينزوى الإحساس بالآدمية ، ويسود منطق الحيوانية على سلوك البشر .

تحريم أكل الخنزير :

وحرم الله أكل لحم الخنزير لأنه يعلم وهو الخالق والصانع مغْزَى هذا التحريم ، ولقد ثبت علمياً أن الخنزير مستودع لميكروبات وأمراض خبيثة مثل الأنفلوانزا والدودة الشريطية ومرض الإيدز الخطير وغيره مما لم يكشفه التقدم العلمى حتى اليوم ، ثم إن لحم الخنزير يتكون من أعقد وأغلظ أنواع البروتين وضررُه على آكله أكثرُ من أى أضرار تسببها لحوم أخرى .

ثم نعود لنتحدث عن التحليل فقد أحل الله الزواج لأنه تنظيم إلهى لإعمار الكون وخروج عن العشق والهوى والهيام الكاذب .

لأن ادعاءات الحب الذى ينتهى باللذة الجنسية قصد المتعة ليس صدقًا إلا إذا كان متمشيا مع صدق الإنسان مع الطبيعة والمشروعية من خلال الزواج والإنجاب .

فليس هناك جسد ومتعة بل هناك جسد وروح لإنجاب أجساد وأرواح صالحة ، فالزواج يعصم من الزنا .

ولأن الزنا يحدث التفسُّخ فى المجتمع ويحدث التمزق فى آدمية الإنسان فيجعله قلباً مفترقاً وجسداً ممزقاً وروحاً ضالة وبه يتم تخريب الفطرة وتدمير النموذج الإنسانى .

تحريم الزواج بين الإخوة :

ومن هنا يتبلور لماذا حُرم الزواج بين الأخوات والأم والابن ، والأب وابنته ، لأن إرادة الله ومشيئته قدرت لتعمير الكون عدة عواطف سامية غير الشهوة

فعاطفة الأمومة التى هى أعظم عواطف الإنسانية .

وعاطفة الأبوة التى هى أمان للمجتمع .

وعاطفة الأخوة التى هى المودة والرحمة .

وعاطفة البنوة التى هى خفض لجناح الذل من الرحمة .

وهكذا يحرم الله الخبائث ويحلل الطيبات حرصا على نقاء خلقه وطهارة عباده .

ولهذا أيضاً يحرم الدين أقذر أنواع السلوك الإنسانى .

مثل الشذوذ الجنسى وهذا يعنى أن يجتمع رجلان على فراش واحد ويمارسان معاً هوس اللذة الجنسية وبهيمية الإحساس بالمتعة الزائفة .

ولأن هذا الشذوذ مخالف لناموس الخالق ، معاكس لقوانين الحق ومعاكس للفطرة السامية ، ويمثل انحرافاً بالطاقة الطبيعية التى منحها الله للرجل ممثلاً فى قدرته الجنسية انحرافاً عن أداء رسالته إلى تفريغ هذه الطاقة فى انحرافات وارتجافات وولع كاذب وغرام زائف .

وهذا الشذوذ يصل بالممارسة إلى درجة كبيرة من الشناعة والبشاعة والمهانة والوصول بها إلى درك أسفل من الإنحدار والرزيلة .

فالعاطفة والجنس حلال طالما كانت بالأساليب المشروعة للتكاثر والإبقاء على النوع ، وكانت أداة منتجة لإنتاج بشر ، وليست لقتل القيم والمعايير الآدمية .

وهنا تتضح أهمية نواميس التحليل والتحريم فى انها لأمن الخلق وأمان البشرية .

الفصل الثانى

معانى البر فى القرآن

قال تعالى :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

« سورة البقرة الآية ١٧٧ »

البر فى القرآن هو لغة القلوب المؤمنة وأداةُ الفطرة السليمة .

فالبر ملحمة إيمانية يترنم بها الأداء الإيمانى الصادق للمؤمن . ، ولهذا جاءَت كلمة البر فى موقعها القرآنى مؤكدة على أهميتها وقدسيتها فى تاديب وتهذيب السلوك الإيمانى .

فيقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

«سورة البقرة الآية ٤٤»

﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

«سورة البقرة الآية ١٨٩»

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾

«سورة آل عمران الآية ٩٢»

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

«سورة المائدة الآية ٢»

﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

«سورة المجادلة الآية ٩»

فالبر فى قانون الرحمة ليس مظهراً من مظاهر الإيمان ، والله يُوجِّه المؤمن ويؤدبه فكراً واقتناعًا ويبين له أهمية السمو والارتقاء إلى جوهر الإيمان الحقيقى والتنزه عن الظواهر .

فليس من أركان الإيمان أن نبحث ونختلف حول الأمور المظهرية ونفعل مثل ما فعل الأولون حينما أُمروا بتغيير وجهتهم أثناءَ الصلاة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فأشاع فيهم اليهود التأويلات حول أهمية البقاءِ على قبلتهم الأولى التى هى بيت المقدس ، وأن البر أن يظلوا على هذه القبلة وألاّ يغيروها . فأدَّب الله المؤمنينَ أدَباً قرآنياً يؤكد لهم فيه أن القيم الإسلامية الفاضلة هى الإيمان قلباً وروحاً بالجوهر لا بالمظهر .

وأن المثُل والقيمَ التى يعنيها البر تنطبق على كل البشر وأن أوامر الله ونواهيه تخص كل عبد صالح فلا استعلاء فى جوهر الإيمان ولا خصوصية فيه فالكل مطالبون بالبر مأمورون به .

فالبر هو كل فعل أو عمل طيب ، فالعمل الصالح بر ، وحب الخلق بر ، وإيتاء الزكاة بر ، والقول بالمعروف بر ، وبر الوالدين بر ، والرحمة بالمساكين وأبناء السبيل بر ، والصدقة بر ، والإخلاص فى العمل بر ، واحترام الكبير بر، والعطف على الضعاف بر ، والسلام بر ، ورعاية حرمة الجار بر ، والقناعة بر ، والرحمة بالحيوان بر ، ونظافة الإنسان بر ، والعفو عند المقدرة بر ، والعفة بر ، وكل ما يمس أمن الخَلْق مرتبط بالبر .

ثم إن الإيمان بالله جاءَ فى كتبه وعلى لسان رسله يهيئ العباد لهذا البر.

وأن الإيمان بالله مرتبط بقالب إيمانى واحد يمثله وعلى قمته :

- الإيمان بالله .
- واليوم الآخر الذى فيه تنتهى الحياة الدنيا وتبتدئ حياة الخلود .

- والملائكة الذين هم حملة العرش والمسبحون حمداً لله ، والذين فى علمه وغيبه مكلفون بما لا نعرفه ولم يصلنا به علم .
- والكتاب الذى انتهى إلينا وهو القرآن والذى يعد خاتم الكتب السماوية ووعاءها .
- والأنبياء والرسل الذين أرسلوا جميعًا لهداية البشر وانتهوا بخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله .

ثم إن الذى يمتلك فى قلبه ويقدر على حمل نبضات هذا الإيمان يستطيع أن ينفذ التكاليف الإيمانية ، فلا يبخل بالمال الذى امتلكه والذى جعله الله زينة الحياة الدنيا فالمؤمن الحق يعطى من ماله ورزقه أطيبه وأنقاه فى حب الله فيعطى الأقرباء قرابة الرحم والإيمان .

- ❖ ويغدق على اليتامى .
- ❖ ويطيب خواطر المساكين وأبناء السبيل الذى تقطعت بهم سبل الرزق والعيش .
- ❖ وكل من سأل وطلب .
- ❖ وينفق ماله فى كل ما يحرر النفس الإنسانية من عبودية كل زمن وعبودية الأهواء والعنصرية .

ثم تأتى مرحلة ثالثة من الإيمان :

الأولى هى إيمان بالله وملكوته .

والثانية تهذيب للنفس وتهيئتها للعطاء .

والثالثة هى تحقيق السلام الاجتماعى بين الخلق .

الوفاء بالعهد يؤلف القلوب على الحب .

والصبر فى البأساء والضراء يعلّم الإنسان والمجتمع بأن العسر مظهر من مظاهر التجلد والاحتمال لمواجهة متطلبات الإيمان .

وهكذا تكتمل مقومات الإيمان إلى مرحلة القدرة على مواجهة البأس بالجود بالمال والنفس والروح عند الاعتداء على كرامة النفس أو صدق العقيدة من الإيمان .

وموسوعة البر تتضمن هذه المراحل الإيمانية ، والبر بمراحله هذه يرتقى بالإنسان درجات السمو حيث ينعم :

- بصحة العقيدة والاعتقاد .
- وحسن المعاشرة مع الخلق .
- وقدرة على تهذيب النفس والجهاد بها .

الفصل الثالث

تشريعات الرحمة فى القرآن

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

«سورة البقرة من الآية ١٧٨: ١٧٩»

القصاص فى القرآن الكريم:

قدر الله أن يكون قانون الجزاءِ والعقاب للبشرِ ملائمًا لطبيعة التكوين العقلى والروحى ومنسجماً مع سمات التطور والارتقاءِ.

فلقد كانت عدالة السماءِ تفرض قانوناً للجزاءِ والعقاب فى عصر موسى ﴿عليه السلام﴾ يتناسب والعنف والعنفوان الذى كان يسود هذا العصر عصر الفراعنة لهذا شرع الله عدالته التى قضت برد الضربة بمثلها.

"العين بالعين والسن بالسن".

ولما جاء عصر المسيح الذى ارتقت فيه النفس البشرية أنزل الله شريعة وناموس الحب فيقول المسيح:

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأنا أقول لكم.

لا تقاوموا الشر .. بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضاً

ولما جاء عصر سيدنا محمد ﷺ مع ما يتميز به من اكتمال البناء الروحى والوجدانى للبشر.

كان من الضرورى أن يكون قانون العقاب ملائماً لهذا الاكتمال جامعاً للشرائع السابقة ومنسجماً مع طبيعة البشر وتطورهم.

ولهذا نزلت شريعة تجمع بين ناموس عدالة موسى وناموس محبة عيسى ممثلة فى ناموس الرحمة.

فجاء القرآن يقول:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

«سورة النحل/١٢٦»

ويحدد القرآن بصورة دقيقة شريعة العدل والحب فى ميثاق رحيم يتلاءم وطبيعة ما تبقى للإنسان من عمر على الأرض.

فلقد جعل الدفاع عن النفس باستعمال القوة أمراً مشروعاً وإن كان الله قد فضَّل الصبر وتحمل الأذى والاحتكام إلى قوة الحق والإيمان الذى يمثل العقيدة التى لا تقهر.

ولكن جعل ميزان العدل ملائماً للوفاق الإنسانى وبعيداً عن نظرة الضعف أو الاستسلام.

فقال تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾

«سورة المؤمنون /٩٦»

ووسائل الدفع هى القوة، والقوة لها أسلحتها.

فالقوى بالعلم قوى بحجته يهابه الجهلاءُ.

والقوى بالجسد قوى بجبروته يخافه الضعفاءُ.

والقوى بعقله قوى بمنطقه وحكمته ويخافه المدَّعون.

والقوى بعقيدته قوى بإيمانه يتجنبه المكابرون.

والقوى بعزوته قوى بشمله يتجنبه المتفرقون.

ويقرر القرآن أن قانون العفو رادع لأهل الضمائر والبصائر والتقوى.

لأنه يتعامل مع فطرتهم التى تعلم أن كل فعل خاطئ يمثل سيئة أو خطيئة ، وكل خطيئة لها عقابها الدنيوى ، وعقابها فى الآخرة عند الله أشد، ثم إنها تخفف الميزان يوم الحساب .

ومن خفت موازينه فأمه هاوية .

ثم إن العفو يعنى تأجيلا من صاحب الحق وتفويضاً لعدالة الله فى الحكم والثواب والعقاب .

وما أجمل أن يعفو الإنسان ويقدرَ على نفسه ويصبر ويفوض الأمر إلى الله .

والشريعة السماوية تقرر : العدل فى الحكم ، والعدل فى العقاب ، والعدل فى العفو ، والعدل فى تقدير الفدية . وفى حالة تقدير الفدية . وفى حالة القِّصاص من القاتل يأتى عدل الله ملزماً بأن يكون العدل شريعة الحكم فلا زيادة أو نقصان فى الجزاء إلا أنه ارتضى العفو لمن يقدر .

وارتضى الفداء لمن يريد بشرط ألا يقتل بعد أخذ الدية .

ويقول الرسول الكريم « لا أُعافى احداً قتل بعد أخذ الدية » .

وقرر أن يكون المعروف ركيزة أساسية فى تنفيذ الأحكام لأنه مظلة تحمى البشرية من الحقد والكراهية .

وأداء الأحكام بإحسان وتنفيذها بقدر الضرورة هى لفتة إلهية لحماية المجتمع وحماية كرامة الإنسان على قدر ما يملك أو يستطيع .

ويقرر الحق (سبحانه) أن هذا التشريع رحمة من عنده وأن الخروج على قواعد هذه الرحمة اعتداء على ما ارتضاه لخلقه ، واعتداءٌ على حقوقهم ومن يعتدِ فله عذاب شديد ومؤلم .

وأيضاً يقرر القرآن أن تطبيق هذه القواعد الإلهية يحفظ على الإنسانية جميعها أمنها ووجودها وحياتها لأنها رادعة قامعة للعاصى مانعة لانتشار الحرمات .

وعن الأدب الإلهى للمؤمن حول وصية المتوفى

قال تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾
فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾

«سورة البقرة ١٨٠ : ١٨٢»

ويوصى الله عز وجل المؤمنين بأن تكون تقوى الله فى كل أفعالهم وأعمالهم ويخص بالتقوى أولئك الذين يحضرون فى حالة الوفاة ويسمعون وصية من المحتضر ، فهذه الوصية والحفاظ عليها من تبديل أو تحريف أمانة وحق مطلوب من المتقين أن يؤدوه تاماً كاملاً خاصة إذا كانت هذه الوصية تتعلق بخير يعود على والدىْ المتوفىً أو الأقربين له .

وإذا كانت متَّصفَة بمعروف وإحسان لهم فإنه يُحذِّر من التلاعب فى هذه الوصية بالأهواءِ والرغبات وإثم المبدِّل عند الله عظيم .

ويحلل القرآن الكريم اجتناب الظلم والبعدَ عنه ، فكل ما يوصى به المتوفَّى إن كان مخالفاً لشريعة الله وعدله وجب أن يُرد إلى الحق وأن يكون بالعدل والشريعة التى سنها الله وقررها لعباده خاصة فى توزيع الميراث .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ
لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

«سورة البقرة من ١٨٣: ١٨٤»

وعن آداب الصيام فى الإسلام وحكمته :

فالصيام إذا اكتمل وحسن احتساباً لله فى نفس الفرد وفى ضمير المجتمع رُفع إلى الله فأثاب وأعطى .

فضلاً عن أنه راحة لأجهزة الجسم ونِعمة من الخالق على ضعاف خلقه بفرض الزكاة التى فرضها ليقبل صيام عباده القادرين .

والصيام كالحبل السُّرى الذى يربط الروح بخالق الروح ، فمنه يتجدد يقين الإيمان ، وتَصفو الضمائر ، وتتنزه الملكات ، ويسمو الوجدان ، وكذلك فهو بعث لكوامن الفطرة وتطهير للقلب ، وتحرير من رق وعبودية الشهوات وتنقية للأعين من النظر للمحرمات ، وتلجيم للسان من النطق بالرذائل ، وتهذيب للآذان من تسمُّع الفواحش وإبعاد للإنسان عن الفسوق .

وفى شأن الصيام يقول الرسول العظيم .

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ »

وقال ﷺ :

خَمْسَـة يُفطِرْنَ الصَّـائِم :

١ - الكَذِب .

٢ - الغِيبَة .

٣ - النَّمِيمَة .

٤ - اليَمِين الكَاذِبَة .

٥ - النظرة بِشَهْوَة .

فـالصـوم يـعنى تـرك كل مـا يُفْطِر يـومًـا كـامـلاً مـن الفـجـر إلى المغـرب ويسبقه النية على الصوم .

والصوم مفروض على المسلم العاقل القادر الصحيح .

قصـــة صـائم :

والصوم اختبار لقوة العقيدة وهنا نذكر قصة صائم مع الحجاج :

فقد خرج الحجاج بن يوسف ذات يوم لسفر فى أرض العراق ولما حان وقت الطعام، لم يكن الحجاج يحب تناول الأكل وحده.

لذلك طلب من حراسه أن يأتوا بمن يشاركه الغداءَ ، فبحثوا حتى عثروا على رأعٍ يرعى غنمه فحملوه إلى الحجاج .

وقال له الحجاج :

اجلس يا أخا العرب ، وكُلْ معى .

الأعرابى : دعانى من هو أكرم منك ، فأجبته .

وظهر الغضب على وجه الحجاج ، لأن رد الرجل عليه فيه عنف وقوة .

والحجاج يتصوَّر أنه أكرم الجميع، لأنه هو الحاكم ، وكيف يدعو هذا الرجلَ البسيطَ إلى مائدته فيرفض ...!

وسأل الرجل وهو متمالكٌ نفسه ؟

من هو .. ؟

وجاء رد الرجل رائعاً .

الله تبارك وتعالى : الله (تبارك وتعالى) : دعانى للصوم فأنا اليوم صائم .

وهنا ظهر الارتياح على وجه الحجاج لأن الرجل لم يقصد الإساءة للحجاج .

وتبسط الحجاج مع الرجل أكثر وقال له :

أتصوم فى مثل هذا اليوم على حرِّه الشديد ... ؟

رد الرجل البسيط العظيم : نعم وصمتُ ليوم هو أحَرُّ منه ...

ذلك اليوم الذى تشخص فيه الأبصار، يوم يكون خير الزاد التقوى، يوم القيامة .

فقال الحجاج وهو يتبسط أكثرَ مع الرجل :

- كل معى اليوم ، وصمْ غداً .

فقال الرجل : إن أفطرت اليوم فهل يضمن لى الأميرُ أن أعيش غداً ...؟

فلم يجد الحجاج حجة لديه مع مؤْمن قوى لم يَهَبْ الحاكم أو يخافه ويخشى الله فى السرِّ والعلانية ولا يخشى فى الله لومة لائم .

الباب السادس

الإعـداد الإلهـى لنـزول القـرآن

- قصة ومقدمات نزول القرآن فى رمضان.
- مُقدِّمات الرِّسالة ودلالتها.
- بداية نُزُول القرآن.

قال تعالى :

﴿ شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

«سورة البقرة الآيات ١٨٥: ١٨٦ »

قصة ومقدمات نزول القرآن فى رمضان :

- كيف كان أثرُ نزوله على سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾
- كيف كان وقع نزولهِ على وِجدان السيدةِ خديجةَ زوجِ النبىِّ ...؟
- المصدقونَ للوحى عندما نزلَ .
- والمنتظرونَ لرسالةِ السماءِ مَنْ هُمْ .. ؟
- ميلاد النبى الأمين وهجوم أبرهة الأشرم ملك صنعاءَ على الكعبة .
- علامات النبوة المحمدية ودلالاتها .

فى يومٍ من أيام الله مرَّ أهلُ مكةَ بجانبِ الكعبة فوجدوا عبد المطلبِ وهو سيدُ من ساداتِ قريشٍ يمسكُ بفأسٍ ويحفرُ فى الأرضِ بنفسهِ ومعهُ ابنهُ الوحيد الحارث يحمل التراب بعيداً .

فاستغرب الناس وسألوا عبد المطلب واستفسروا .

فأجابهم عبد المطلب إننى أبحث عن بئر زمزم .

فقالوا له ولكنَّ زمزمَ مطمورةٌ منذ مئاتِ السنينَ ولا أحدَ يعرفُها أو يعرفُ مكانَها فلا تجهدْ نفسكَ وولدكَ .

فقال لهم : يا سادةَ مكةَ لقد جاءَنى هَاتفٌ فى المنام وقال لى :

- احفر زمزم .

- احفر زمزم .

فقالوا له : من هتف لك ومن حدد لك هذا الموضع .. ؟

قال : غفوتُ بجوار الكعبة فسمعتُ هاتفًا يقولُ قم واحفر زمزم واستيقظتُ فلم أجدُ أحداً وظننتُ أن بى وهماً أو مسًا من الجنِّ .

وفى اليوم التالى نمتُ بجوارِ الكعبة أيضاً فحدث لى ما حدثَ بالأمس واستيقظتُ مذعوراً وقلتُ فى نفسى :

وأين مكان زمزم حتى أحفرها ... ؟

وفى اليوم الثالث أصابتنى غفوة ثالثة فإذا بالهاتف يقول لى :

استيقظْ فسوفَ يأتى غرابٌ أسودُ كبيرٌ لم تشهد مثله من قبل ، وسوفَ ينقرُ بمنقارهِ فى مكانٍ بجوار الكعبة وفى هذا المكان تحفر لتجدَ زمزم .

وها أنا يا قوم أحفر زمزمَ حيثُ أُمِرتُ وحيث ترَوْنَنِى ..

وتهامس الناس وحسدَ رؤَساءُ القبائل عبدَ المطلب على هذا الفضل .

وحاولوا منع عبد المطلب عن الاستمرار فى الحفر وقالوا له : لن نتركك تحفر هذا البئر وحدك إنها بئر جدنا إسماعيل وسوفَ نساعدَ فى الحفر ليكونَ لنا فيها مِثلُكْ .

قال لهم عبد المطلب : لقد جاءَنى الهاتف وأمرَنى بحفرها ولم يأمرنى بأن يشركنى أحد .

وإذا شئتم فافعلوا وأخاف إن شاركتُمونى ألاَّ نعثر على زمزم .

فدعونى وما أُمرت به، والخير منها سيكون لنا جميعاً .

وكان كلامُ عبد المطلب مُقنعاً ومرضياً وتركه الناس وشأنَه .

وبعد أيام من الحفر انفلقت الصحراءُ عن بئر زمزم بئر سيدنا إسماعيل ﴿عليه السلام﴾ فهتف عبد المطلب لله شاكراً حامداً .

وأقبل شيوخ القبائل ونظروا تدفق الماء فقالوا لعبد المطلب :

أنت الآن أميرنا وصاحب السقاية برغم أنك أقلنا مالاً وولداً .

وكان لهذا وقعٌ شديدُ الأثر فى نفس عبد المطلب لما يعنيه هذا من معايرة بقلة الأولاد والأموال .

ونظر إلى ابنه الوحيد الحارث وقال :

يا بنى أسمعت ما قالته قريش وغيرها .. ؟

تفخر علىَّ بكثرة المال وتتباهى بكثرة البنين .

والله إن رزقت عشرة من الذكور وبلغوا مبلغ الرجال لأذبحنَّ أحدَهم قرباناً لله .

ورزق عبد المطلب عشرة من الذكور ووجب عليه تنفيذ ما أقسم عليه .

وكان أصغرهم هو عبد الله أحب أبنائه إليه وأقربهم إلى قلبه وأعظمهم مكانة وعقلاً وذكاءً وجمالاً وكان محبوباً من أهل مكة .

وكان موضع إعجاب الشيوخ والشباب والفتيات والنساءِ حتى إن بعض فتيات القبائل العريقة كن يتلهفن على رؤيته ويعترضن طريقه .

إلا أن هناك فتاة من أجمل ما خلق الله وأودع من الخلق الطاهر والأصالة والنقاء هى آمنة بنت وهب . كانت حبيبة الصبا ورفيقة الطفولة شاركته أحلام الطفولة ولازمته براءتها .

وساعد على ذلك أن قبيلة بنى زهرة التى تنتمى إليها آمنة وقبيلة بنى هاشم التى ينتمى إليها عبد الله كانتا على روابط وثيقة من الود والصداقة والمشاركة فى السراءِ والضراءِ .

ونشأ بين عبد الله وآمنة منذ الصبا ما ينشأ بين الصبية من حب لا ينتهى بالفراق ومودة لا تُنسى بالتباعد .

ولكن حين بلغت آمنة سن الثامنة حجبها أهلها فى المنزل لأن علامات الأنوثة بدأت تشرق على جسدها .

وبدأت تكبر أحلامها مع عبد الله .

وبدأ عبد الله يكبر ولا ينساها .

ووفق مشيئة الله تذكر عبد المطلب ما أقسم عليه وأنه وجب عليه ذبح أحد أبنائه العشرة ودعا أبناءَه وقال لهم : لقد نذرت أن أذبح قرباناً للآلهة إذا رزقت عشرة أولاد .

فانظروا ماذا أفعل ... ؟

قال أولاده : يا أبانا ما نقول إلا كما قال جدنا إسماعيلُ لأبيه يا أبتِ افعل ما تؤْمر ستجدنا إن شاءَ الله من الصابرين .

واطمأن عبد المطلب إلى طاعة أبنائه وذهب إلى راعى الأصنام فى الكعبة وطلب منه أن يجرى القرعة ليحدد من سيكون الذبيح وفاءً لوعده ونذره .

وشاع الخبر فى مكة كلها ، وفى لمح البرق توافد الناس ليشهدوا قرعة راعى الآلهة .

وأجريت القرعة فإذا عبد الله هو الذبيح وتصايح الناس جميعاً يا عبد المطلب لا هذا ولا ذاك أبناؤك حرام ذبح أحدهم للآلهة .

وعبد المطلب مصمم على الوفاء بما نذر .

ولكن حينما أصابت القرعة عبد الله زين الشباب وأحب أبناء عبد المطلب لقلبه .

طلب من الراعى إعادة القرعة فأصابت عبد الله.

وينفطر قلب عبد المطلب ويطلب إعادة القرعة للمرة الثالثة فتصيب أيضاً عبد الله .

ويعلم عبد المطلب أنه لا بديل ولا راد للقضاء وأقبل بسكينه ليذبح فلذة كبده عبدَ الله .

وتطايرت أخبار ما يدور بالكعبة إلى مسامع القبائل وبلغهم نبأ إصرار القرعة على إصابة عبد الله ، وتصاب مكة كلها فى فؤادها .

وتصاب كل فتاة فى قلبها .

وتحزن كل أم وكأنه ابنها .

وتتسابق الخفقات بإيقاع الحب الفياض لعبد الله وإيقاعات الابتهال إلى كل إله ليغير ما بيد عبد المطلب من سكين إلى غصن زيتون أو عود ريحان لكيلا يذبح عبد الله .

وتزدحم الكعبة فى هذا اليوم بجموع حولها تبتهل ودموع تتأوه وتشكو وتدعو .

وفى هذا العنفوان من التصميم على الوفاء بالوعد وبالمقابل حنين جارف وإشفاق قوى على عبد الله من جموع تحبه محبة لا توصف .

كانت هناك خفقات قلب يتمزق ومأتم فى صدر فتاة تذوب حزناً وحسرة وابتهالاً لا ينقطع ودعاء لا يتوقف .

كانت هذه خفقات قلب آمنة بنت وَهْب .

ولأن الله يقدر ويدبر ، وخيوط قدرته تحرك إرادة عباده ولأنه وضع لعبد الله قدراً ورسالة فى الأرض وأراد الاَّ يكون عبد الله شيئاً عابراً كسائر البشر وأراد أن يكون لوجوده معنى وقيمة وامراً فى وجدان الخليقة .

فلقد قدر لهذا أن يُحسم بما تراه عرَّافة من أشهر عرافات عصرها وهى «عرافة خيبر».

ولقد قالت لسادة القوم الذين جاءوها ليروا ما تحكم به .

هل يذبح عبدُ المطلب ابنَه عبد الله ...

أم أن هناك حلاً وسطاً ... ؟

وقالت العرافة : أليس فى أبيكم إسماعيل عبرةٌ ... ؟

أتذكرون جدكم الأكبر إبراهيم حينما رأى فى المنام أنه يذبح إسماعيل وحينما هم بذبحه تنفيذاً لرؤياه فداه الله بكبش سمين قال الجميع : نعم .

أتقصدين أن نفدِىَ عبد الله بكبش سمين ... ؟

قالت العرافة : لا إنما أعنى أن يكون الفداء بمعيار زمانكم .

فَبِكَمْ تفدون شخصاً منكم لو قتل ... ؟

قالوا : نفديه بعشرة من الإبل .

قالت : اعملوا قرعة بين عبد الله وبين عشرة من الإبل فإذا أصابت الإبل فاذبحوها .. وصمتت .

قالوا : ولو لم تصب الإبل وأصابت عبد الله ؟

قالت : أعيدوا القرعة وفى كل مرة ضاعفوا عدد الإبل حتى تصيب القرعة الجِمال .

وهكذا عاد القوم من فتوى العرافة وقد وجدوا مخرجاً من ذبح عبد الله وأقاموا القرعة ، وفى كل مرة تصيب عبد الله حتى المرةِ العاشرة فأصابت الإبلَ وبذلك يكون فداء عبد الله مائةً من الإبل تذبح .

وذُبحت الجِمال المائة وأكلت قريش وأكلت سباع الصحراء .

إلا أن خبر نجاة عبد الله أدخل الفرح فى كل دار وأصبحت مكة فى أعياد من الفرح والسعادة .

إلا أن هناك قلباً كان أكثرَ القلوب فرحة وأعمقَ الأفئدة ارتياحاً .

إنه قلب آمنة بنت وهب حبيبة الصمت وحبيبة الروح والتى تعدها العناية الإلهية لأمر هو أعظمُ أمور الإنسانية ، ولقدر لا يحمله إلا الأطهار الأبرار .

وتنتقل بنا الأحداث إلى عبد المطلب يراجع توالى الأحداث :

- قم واحفِر زمزم .

- غراب لم تر مثله من قبل ينقر بجوار الكعبة ليحدد لك مكان زمزم.

- والله لو رزقت عشرة من الأبناء لأذبحن أحدهن .

- القرعة تحدد الذبيح بابنه عبد الله .

- العرافة تقول أقيموا القرعة حتى تنتهى بالإبل مهما بلغت .

- ذبح مائة من الإبل .

- الناس جميعاً سعداء بنجاة عبد الله ؟

- أليس هذا بشيرَ خير .

- لِمَ لا يكون من نسل عبد الله نسلٌ كريم كما كان لسيدنا إسماعيل .؟

هكذا تواردت الخواطر وتوافدت الآمال فى نفس عبد المطلب وعزم فى نفسه أمراً لماذا لا يزوج عبد الله ... ؟

وفى نفس اللحظة وقبل أن يغادر مجلسه دخل عليه «وَهْبُ بن عبد مناف» ليهنئه بنجاة عبد الله .

وقبَّل وهبٌ عبدَ الله وقال : إن نجاتك يا عبد الله هى الفرح الكبير لقريش جميعاً .

فأنت زين الشباب وأطهر الأطهار .

لقد كان فى بيتى مأتم لخبر ذبحك ؟

وقد كان فى بيتى عيد لخبر نجاتك .

إن أعظم الناس حزناً وفرحاً آمنة أتتذكرها يا عبدَ الله ... ؟

رفيقة الصبا وتوأم الطفولة .

وعاودت عبد الله ذكريات الطفولة .

وغاب عبد الله للحظات فى تتابع للأحداث ووقع خطى القدر .

وسرعان ما انتبه وقال : يا وهب لقد خطبت آمنةَ ابنتَك لولدى عبد الله

وكم كان وقع الحدث فى قلب عبد الله، وقلب آمنة وفى قلب كل فتاة فى قريش .

وتزوج عبد الله آمنة : ونَعِمَا أياماً قليلة كلُّها حبٌّ صادق وعاطفة ووفاء وحمَداً للخالق بأن جمعهما فى الطفولة أصدقاء وفى الشباب أطهاراً ، وفى لحظة من لحظات الحب نظرت آمنة إلى زوجها عبد الله لمراجعة نبض الهوى وحس المشاعر الصادقة بينهما وقالت :

عبدَ الله بعد أن منَّ الله عليك بالنجاة من الذبح كنت أنا فى سعادة لا توصف وكانت هذه السعادة تتخللها لحظات حزن وألم لأننى سمعت عن فتيات كريمات من مكة كن يعترضن طريقك ويتحدثن إليك .

وكانت هذه سحاباتِ حزن تمر بخواطرى فتُفزِعنى .

ماذا كُنَّ يَقُلْنَ لَكَ ...؟

قال عبد الله: يا آمنةُ هذا صحيح ...

ولكن ما كان يدور بينى وبينهن مثار دهشتى لأن ما قلن جميعاً يستحق التفكير فيه .

لقد قالت لى «بنت نوْفل» وهى أول من استوقفنى فى الطريق وكان ذلك قبل زواجى بك بيومين .

يا عبد الله : إننى فتاة شريفة طاهرة ولأننى أرى فيك علامات وأنواراً تتلألأ فإننى أريد أن أحظى بمشاركتك حياتك لأنعم بهذه الأنوار التى تؤكد أن من نسلك مولوداً عظيماً .

فقلت لها لقد خطبت آمنة بنت وهب .

فقالت وهى تنصرف: نعم ما اخترت وهنيئاً لآمنة بالأنوار .

وكذلك اعترضتنى «فاطمة بنت مر» وأنت تعرفينها عرافةٌ تقرأ المستقبل وهى من حسان مكة وأشرف نسائها وقالت مثل ما قالته بنت نوفل.

قالت آمنة : إن فى هذا الأمر لعجباً ... !

تعترضك بنت نوفل وهى أُخت ورقة بن نوفل الذى قرأ كتب الأقدمين وتنبأ بنبىٍّ هذا الزمان .

وتعترضك فاطمة بنت مر وهى كاهنة مطلعة على كتب السابقين ومعروفة عند العرب بقارئة المستقبل .

وحمدا الله بفطرتهما حمداً يليق بما منَّ عليهما وأكرمهما بفضله .

وفى الصباح استيقظت آمنة متهللة مستبشرة وقالت لقد رأيت فى المنام أن أنواراً تخرج من بطنى فتضىء الدنيا كلها .

وسمعت هاتفاً يقول : لقد حملت يا آمنةُ بسيد هذه الأُمة .

وإذا بطرق على الباب فيدخل عبد المطلب دار إبنه عبد الله وهو يقول له :

إنك مسافر إلى الشام مع القافلة .

فقالت آمنة : كيف ونحن ما زلنا فى الأيام العشر الأوائل من زواجنا ..؟

قال عبد المطلب : هذه يا ابنتى التجارة التى نرتزق منها .

ورحل عبد الله بعد وداع آمنة التى انفطر قلبها على فراقه إلا أن مشيئة الله كانت هدأة لخواطرها وإرادته مطمئنة لسرائرها ، وظلت على أمل العودة تنتظر الحبيب وترتقب الهاتف بعودة الغائبين .

وحملت آمنة وظهرت عليها علامات الحمل .

وقالت فى نفسها حمداً لله أن جعل فى بطنى قطعة من عبد الله تكون عزاءً وسلوى لفراقه حتى يعود .

وعادت القوافل . ولم يعد عبد الله .

لقد مرض فى الطريق عند المدينة فذهب عند أخواله بنى النجار يزورهم ويعالج عندهم حتى يشفى .

إلاَ أن قدر الله كان أسبق ومات عبد الله ولم يعُدْ .

حزنت مكة كلها على زين شبابها عبد الله بن عبد المطلب إلا أن حزن آمنة يزيد على حزن العالم كله غير أن شعورها مما فى بطنها وأنه من عبد الله كان عزاءً وسلوى وصبراً .

خيوط قدرية تحرك أمور البشر ... ؟

وعظمة إلهية تُحسن التدبير والإحكام .

ماذا تريد مشيئة الله ... ؟

ماذا سيحدث فى هذا الكون المتفاعل بالجبروت والكفر .. ؟

ما الذى تخبئه الأيام والأقدار ... ؟

وفى صباح يوم من أيام الله المشهودة جاءَ عبد المطلب وقال لها :

سنخرج جميعاً من مكة ونقيم فى جبالها لأن أبرهة الأشرم ملك صنعاءَ أتى بجيش جرار يتقدمه فيل كبير يريد هدم الكعبة على من فيها وهو الآن على مشارف مكة .

فهيا بنا يا ابنتى حتى يفعل الله أمراً كان مفعولا .

قالت آمنة : يا أبتِ إن للكعبة ربًّا يحميها .

ولا يستطيع أبرهة هذا أن يدخل مكة .

وإن فى بطنى سيدَ هذه الأمة وسيخرج ليبدد الظلم وينشر النور .

هذا ما يقوله لى دائماً الهاتف .

فلم يستطع عبد المطلب إلا أن ينصرف وهو يقول أحلام .. أحلام .. آمال..

ووسط الفزع والرعب الذى أحدثه جيش أبرهة وفيلُه جاءَ البشير ليقول: هلك جيش أبرهة ، الطير الأبابيل ترميه بحجارة تجعله كالعصف المأكول .

هلك أبرهة ومن معه .. ونجت مكة والكعبة .

وعاد عبد المطلب إلى آمنة وقال لها :

صدقت فيما قلت فوالله إنك تحملين فى بطنك سيد هذه الأمة .

لقد برك الفيل الجبار يا آمنةُ ولم يتحرك وكلما وجهوه تجاه الكعبة ولَّى وأدبر.

فيا بشرانا بمولودك الطاهر .

ووضعت آمنة سيد هذه الأمة وأسمته محمداً لأنها سمعت الهاتف يقول : ستلدين محمداً .

وماتت آمنة ، ومحمد لم يبلغ السادسة وعاش فى كنَفِ جده عبد المطلب فكان له أمًا وأبًا عطوفًا .

ولله فى خلقه شئون .

لقد كانت مكة لا تقيم فرحًا منذ وفاة عبد الله بن عبد المطلب زوج آمنة مشاركة لعبد المطلب فى أحزانه ومجاملةً له؛ وهذه عادة أصيلة فى العرب تتوارثها الأجيال.

وها قد مر على وفاة عبد الله ما يزيد على ستة أشهر .

ولقد رزقت آمنة بنت وهب ولداً كالبدر سمته محمداً .

وها هو عبد المطلب منشرح الصدر والفؤاد . وآنَ لمكة أن تسعد بأفراحها ولياليها، والمشهدُ رائع .

خديجة بنت خويلد جميلة الجميلات ، وبنت خويلد من أعظم سادات قريش وأغناهم.

خديجة اليوم تُزَفُّ إلى عَتِيق بن عابد ، ليلة سرور فيها رقص وغناء ، الكل يعيش لحظاته حتى عبدُ المطلَب يشارك قومه ويهنئونه بمولوده الجديد «محمد».

❖ خديجة تُزَفُّ إلى عتيق .

❖ محمد بن عبد الله يولد .

❖ الكل فى مكة يلهون .

❖ إلاَّ ورقةَ بنَ نوفل ابنَ عم خديجة لا يشارك القوم ويسخرون منه ويقولون له :

يا ورقة شاركنا الشراب واللَّهو ودعْكَ ممَّا أنت فيه فآلهة الروم أو الفرس التى تدين بديانتها لن تنفعك أو تصب عليك النعيم مثل آلهتنا الشامخة حول الكعبة .

ويقول لهم ورقة: اسخروا ما شئتم اليوم فغداً نسخر منكم حين يبعث من بينكم نبىٌّ آخر الزمان الذى سَيُحَطِّم هذه الأصنام ويقضِى على الضَّلالاَت.

وزادت سخرية القوم بورقة الذى ازداد إشفاقًا عليهم وعلى ما هم فيه، وانتهت ليلة الفرح وانصرف الناس ودخلت خديجة بنت خويلد أبواب حياة كبيرة الأمل إلاَّ أن قلبها كان يحمل فى طياته خوفًا وإشراقًا لم تعرف مداه وإلى أين يقودها قدَرُها.

وصدق حسٌ خديجة فلقد مات عتيق بعد عام ونصف من الزواج تاركًا لها بنتًا ومالاً وثراءً.

وحزنت وظلت رمزًا للوفاء والإخلاص حتى غلبها تصميمُ والدها على الزواج من سيد من سادات أهلها وهو: النباش بن زُرارة التميمى»، كريم الأصل حسيب نسيب يملأُ الأسماع بكرمه واستقامته، خَيِّر جَوَّاد، وتزوجت وأخلصت المعاشرة وأوفت الحب والطاعة ورزقت هالةَ وهند.

ولم يدم لخديجة أمنها ، فيد القدر اختطفت النباشُ فعادت خديجة إلى عهدها من الحزن والأسى وزهدت فى الحياة.

فها هى ترعى يتمَ ابنةِ عُتيق وبنتَىْ النباش.

وإن كان مال خديجة قد تضاعف أضعافًا مضاعفة لميراثها ثرورة عتيق والنباش إلاَّ أنَّهَا زهدت فى المال وقالت : « هل ينفع المال بديلاً عن الأحباب » وحزنت حزنًا ثقيلاً واعتلت حتى قال لها أبوها خويلد:

ومَن يرعى أبناءك اليتامى فيما لو افتقدك ..؟

وهل حزنُك يعيد الموتى من قبورهم ..؟

ارحمى نفسك وأبناءَك وها هى آمنة بنت وهب بجوارك فقدت الزوج، وأخلصت الحزن والوفاءَ وأبقت نفسها لرعاية محمد ابنها.

فلماذا اليأس الذى يقتل النفس ويضيع المال والولد ..؟

هلى ترضَين لأبنائك اليتم أبًا وأمًا ..؟

وتنبهت خديجة إلى رسالة أعظم، وأخذت من الحزن تصميمًا على أن تكون مثل آمنةَ الصَّابرةَ..

وأدركت بفطرتها أن ما حباها الله به من حب الخَلْق وما أغدقه الله عليها من ثراء إنما هو لأمر جلل وشأن عظيم.

ولكنها حسمت أمرها أن تهب نفسها لأبنائِها وتجارتها ورفضت كلَّ من طلب منها الزواج مهما عظم شأنه أو مقامه.

مقدمات الرسالة ودلالاتها :

وفى ليلة من الليالى نامت خديجة لترى فى منامها عجبًا:

رأت سماءً صافية، وشمسًا ساطعة، ودنيا كلُّها إبْداع للخَلق. وإذا الشمس تنزل من عليائها وتدخل دارها وتغمرها نوراً وضياءً.

ثم تبعث النور إلى ما حولها فى مكة وإلى أبعدَ منها لتغمر كل الكَون وكل الأرض.

وتهُبُّ خديجةُ من نومها حيث تقودها خطواتُها المسرعة وأنفاسها اللاهثة إلى بيت ابن عمها ورقةَ بنِ نوفل الكاهن والعَرَّاف والذى قال لها بعد أن قَصَّت رُؤيَاهَا.

يا ابنة العم : ستتزوجين.

فقالت: وكيف وقد وهَبتُ نفسِى لمالى وعِيَالى أعِدْ النظر فى تأويل الرؤيَا..

فقال : ستزوجين يا خديجة هذه الشمسَ ، ستتزوجين رجلاً لا كَكلِّ الرِّجال نبى هذه الأُمة وسَيِّدُهَا ، سوف يبعث وقد قربَ زمانه أعدِّى نفسك؛ فرؤياك صادقة وتأويلى صدقٌ وحقٌ.

وانصرفتْ بين مصدقة ومستغربة وشغلتها أُمور تجارتها عن أُمور الرؤيا لتُحكم العنايةُ الإلهية التدبير والتقدير.

وفى لحظة من لحظات البحث فى شئون التجارة وإعداد العُدَّة لقافلة من قوافل التجارة الكبيرة لخديجة ذهب أبو طالب بن عبد المطلب إلى خديجة - للتحدث فى أمور التجارة وعرض عليها إن شَاءَت الاستعانة بابن أخيه «محمد» الذى بلغ من العُمر خمسًا وعشرين عامًا ولا مال له غير ما يأتيه من رعى أغنام أهل مكة.

ويقول : إنَّ محمداً إنْ كان فقيراً فإن أباه عبد الله بن عبد المطلب سيد مكة وما جئت إلاَّ لكى أجد له عملا عندك أكثرَ ربحًا من رعى الغنم يستعين به على الزواج ثم إن أمانته تملأُ الأسماع.

وطمأنها أبو طالب عن قدرة «محمد» على تدبير الأمور ومعرفة طريق التجارة إلى الشام ، فقد صاحب عمه أبا طالب وهو فى سن العاشرة فى رحلة إلى الشام.

وسمعت خديجة وشرد ذهنها وتذكرت يوم ميلاد محمد وهلاك أبرهة وجيشه ويومَ نجاة أبيه عبد الله من الذبح، ويوم حفر عبد المطلب زمزم.

وتذكَّرت يُتْم محمد، وصبرَ آمنة ، ونقاء محمد الملقَّب بالأمين.

وقالت: يا أبا طالب لو طلبت هذا للبعيد لأجَبْنَا . فما ظنُّك بالحبيب القريب؟

التقى محمد بخديجة فى دارها الفسيحة وكان فى رؤيته لها شىء جديد ورؤيتها له ما ينبئُ بشىءٍ: « امرأة جميلة واسعة العينين ، طويلة الشعر ، نافذة النظرات، وبيضاءُ ترتدى ثياباً حريرية ، وتشد الناظر لعظمتها وتأسر الرائى بهيبتها ».

وهو : فتى ذو هيبة وحضور وقوة نفس».

وما خفى من انفعالات خديجة كان أعظم ، لقد جاءتها رؤى وتوافدت عليها خواطر وحامت حولها التنبؤات.

تذكَّرت القَريب والبَعيد تَذَكَّرت ما قالته « بنت نوفل» العَرَّافة حينما أحبت عبد الله وحاولت الزواج منه. ولَمَّا قال لها: لقد خطب أبى لى « آمنة بنت وهب».

قالت : لقد فازت بالأنوار.

وتذكَّرت أَنْوار الشمس المشرقة التى رأتها فى حلمها وفسرها لها ورقة ابن نوفل بأنها سوف تتزوج نَبى هذه الأُمة .

ونظرت إلى وجه محمد فرأت أنواراً لم ترها فى وجه بشر ، ورأت علامات لم تر مثلها فى قسمات مَخْلُوق.

ماذا تفعلين يا خديجة ...؟

ماذ تقولين ...؟

هل تحلمين هل مسَّك شىءُ ...؟

ولكنها تمالكت ورأت فى المستقبل شيئا وقالت: حُبًا وكرامة فى أن تتولَّى شئون القافلة ما شئت يا محمد.

وذهب محمد بالقافلة ورافقه خادمها ميسرة ، ولازمه أينما رَحَل.

وأَتَتْ تباشير العودة ومكة كلها فى شوقٍ للأحباب والرِّجال والغائبين والأموال والتجارة والهَدَايا.

وإذا بالمنادى يُعلن قُدُوم القافلة.

وتصعد خديجة ومعها جواريها إلى أعلى بيتها تستطلع القادمين والقافلة تكبر فى الاقتراب، وها هى قافلة خديجة عن بعدٍ إلاَّ أن خديجة رأت عَجَبا، كلُّ القافلة فى وهج الشمس المحرقة إلاَّ أن هناك شيئا يستحقُّ الانتباه.

هناك سحابة فوق محمد تَخُصُّهُ وحدهُ بَظلِلَهَا لا تشرك معه أحداً حتى ميسرة أقربَ الأقربين فى ملاصقته لا يحظى بظلها .

وازداد يقين خديجة فيما تحسه نحو محمدٍ الأمين صاحب الأنوار.

واستقبلت خديجة محمدا وميسرةَ والقافلة إلاَّ أن دخل محمد إلى بيتها أكدَّ لَهَا أنَّه هُوَ الشمس المشرقة التى رأَتْهَا فى منامها.

فَسُرت وأشْرَق فى قلبها حب هذه الشمس ، وعاد محمد إلى بيته يستقبل المهنئين له بالعودة.

وحينما دعت خديجة ميسرة ليَقُصَّ لها ما رآه قال: أنجزنا تجارتنا بيعا وشراءً فى أقل وقتٍ حتى إنَّ التجَّار جميعا قالوا فى تَعَجب: «سِلَعٌ غيرُ سلعِنا».

« أم اتفاق قبل أن تصل»، الناس يتهافتون علينا للشراء فبعنا بأعلى الأسعار والتجار يتهافتون علينا للبيع فاشترينا بأقلِّ الأسعار.

لقد كان شأن محمد عجيباً...

ـ كان خروجنا من مكة والحر يقذف بلَهيبه حولنا فاحتمينا بالعمائم إلاَّ محمداً أظلَّتْهُ سحابة من الصباح إلى المساء.

ـ لقد كان صامتا يتأمل إبداعَ الكون وعَظَمةَ الوجُود لم يلْهُ معنا ولم يشاركنا اللعب والسمر.

ـ نزلنا «ببُصْرى» فجلس محمد تحت شجرةٍ لا تختلف عن باقى الشجر وبجوارها صومعة راهب وإذا بى أرى الرَّاهب ينظر من صومعته ويقترب منى ويقول:

من هذا الرجل ...؟

فاقول له : إنه رجلٌ من قريش .

فيقول : أَبُعِثَ هذا الرجل ...؟

فسألته : ماذا تريد ...؟

إن لم يكن هذا الرجل بُعِثَ فسوف يبُعث برسالة إلى الناس . فما جلس تحت هذه الشجرة إلاَّ نَبىٌّ.

وذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عمها وقَصَّت عليه ما سمعت فقال: هذا بشرٌ ليس ككل البشر.

وقد يكون نبى هذا الزمان .

وصممت خديجة ألاَّ يفوتها شرف النبوة اقترابًا وجِهَادًا ومشاركة فى السَّراء والضَّرَّاءِ، فَفِطْرتها قد آمنت ، وملكاتها أسلمت ، وأصبح شغلها الشَّاغل النبى والنبوة ومحمد وما يُنْتظر له ، خديجة قد سبقت زمانها بالعلم بما سوف يكون، وعرفت من هو صاحب الرسالة..؟

وتميل إليه وتتلهف إلى القرب منه تيمُّنًا وتبرُّكًا وائتناسا ، فكيف ذلك...؟

دعت خديجة إليها من أمنت فيها حفاظا على السِّر ، فقد كانت امرأة ذكية أمينة يقظة.

وفاتحتها خديجة بما يدور فى خواطرها وطلبت منها أن تفَاتح محمداً فى الزواج بخديجة .

ومشيئة الله أرادت أن يتم هذا الزواج وتزوجت خديجة من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

لك الله يا خديجة، وما أعظمك مختارةً، وما أعظمك وأنت تحتضنين بذور الرسالة قبل أن تولد تُعدِّين وتَسْتعدِّين، تصدِّقين وتُصَادِقين الأمين فى كل همسة وفى كل خلجة.

ما أعظمك وأنت تستشرفين الهداية قبل بزوغ الأنوار.

وما أخلدك وأنت تحلمين بهداية البشر وسيادة فطرة الله خالدة مخلدة فى ضمير العالمين.

وأنت ما أنت لست ككل امرأة.

إن اختيار الله لك واصطفاءَه إيَّاك زوجا وحاميا وحافظا لمنابت النبوة ليس لأنك إمرأة ككل النساء ولكن لأنك عظيمة عِظم الخُلُود الكامن فى ملكاتك وسكناتك، ولأن قلبك لا ينبض إيقاعًا ولكنه ينبض تسبيحا، ولأن عينك لا ترى أشياءَ ولكنها ترى إشراقا ، ولأن فمك لا ينطق لهوا ولكنه ينطق تكبيرا وحمدا .

ما أعظمك وأنت تضمين المصطفى زوجا وصفيًا وخليلاً وحبيبا ونبيا ورسولاً. وأنت تعلمين أن الأنبياء هم أشقى الخلق واخترت الشقاءَ يقينا والجهاد وسيلة إلى غاية لا يدركها إلا من هم فوق العالمين علمًا ويقينًا .

امرأة ليست ككل النساء صادقت مجد الإنسانية وصنعت مهد النور، وهيأت لرسالة سيِّد البشر الأمن والطمأنينة .

وجدتهُ يميل ويهتم بالتفكير فى إبداع الله وفى قدرة الله وجلاله وينشغل قلبُه بالملأ الأعلى، فهيأت له المناخ الذى يريحه ويعينه على ما فى قلبه وخواطره.

وجدته يهتم بخلق الله وضعفائه والمساكين والمحرومين . فيفتح لهم قلبه ولا يرد لهم طلبًا مدافعًا عن المظلوم ضد جبروت الطُّغاة، فأعانته بالمال والتأييد .

رأته يميل للعزلة والانقطاع عن الناس فهيأت له الهدوءَ والسكينة.

أربعة عشر عامًا وخديجة وبيتها فى هدوءٍ وأمن، دارٌ لا يتردد فيها لغوٌ ولا قولٌ نافر لا يسمح فيها غيرُ التحية والسلام، وأهلاً وأصوات ترتفع إلى السماءِ تدعو لأهل الدار بالعز ودوام الخير والنعمة.

رأته يجاهد نفسه ويحاسبها وقد ازداد تألقُ أنوار النبوة فى قسماته ، وإشراقةُ الهدى فى همساته، فأشرقت فى جوانحها إشراقات الحب والعطف الذى غمرته به وأغدقت عليه.

وقد كان رمضان من كل عام شهرَ الانقطاع والزُّهد فمحمد يعد زاده القليل من التمر والماء والملح والزيت والشعير ويرتقى جبل حَراء وينقطع فيه شهر رمضان كاملا. يحيا حياة الزهد والبُعد عن الناس ومساوئهم وعن كلّ ما يصرف الإنسان عن الله وعن التفكير فى عظمته وجلاله.

ويعود محمد إلى بيته ليجد من خديجة القلب الحنون والأمن الذى يعيد له القوة والعافية.

ولَمَّا اقترب محمد من الأربعين رأت خديجة علامات النبوةِ وملامح البعثة تتزايد وتتألق، فاستبشرت الخير واستشرفت الأمل.

وفى شهر رمضان الذى كان فيه موعد السماءِ مع الأرض ذهب محمد إلى جبل حراءْ كعادته، وحيث كان اللَّيل والسكون والظلمة وأصواتُ السباع، ومكة مختفية فى ظلامها إلاَّ نوراً ضئيلاً هنا وهناك من بعض المصابيح.

ومحمد فى الغار على قمة جبل حراء ينظر إلى السماءِ والصفاءِ والكون ويتفكر فى خَلْقِ الرَّحْمن.

ومحمد يُطيل النظر والنفس مشرقة. فإذا بجسم لطيف ليس كمثل البشر ارتعد منه واهتز كيانهُ ملَكٌ سمعه واقترب منه وهزهُ وناداه:

بداية نزول القرآن :

اقرأْ يا محمد .

فقال والخوف يعتصره: ما أنا بقارئ.

فأعاد فى قوة : اقرأ يا محمد.

ومحمد فى رعدته الشديدة وخوفه الكبير قال:

وماذا أَقرأ؟

فقال فى صوتٍ يذوب حلاوة وينساب طلاوة:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

«سورة العلق من ١:٥»

ولَمَّا قرأَ محمد ما قال انصرف عنه إلاَّ أَن خوف محمد وما أَصابه جعله

ينساب من فوق الجبل بعد أن استعاد قوته مُيَمِّما شطر البيت فإذا بخديجة تستقبله وتُزَمِّلُه وتضمه وتصْنع من قلبها وسادة راحة وتفترش أَضلعها مُتَّكَأ حنان فيستريح وينام وتذهب خديجة إلى ورقة بن نوفل لتستطلع الأمر فإذا ورقة يقول ، قدوس! قدوس! .

- ظهر نبى هذا الزمان.

- جاءَه جبريل كما جاءَ للأنبياءِ من قبل.

ولم يكمل حتى طارت خديجة عائدة إلى محمد حيث ينام فراقبته لتجده يرتجف ويهتز ولم تستطع إلاَّ أن تصبر حتى يستيقظ فإذا به يفتح عينيه ليقول : انقضى عهد الراحة يا خديجةُ. ويقول فى تأثر: نزل علىَّ فى هذه الساعة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾

«سورة المدثر من ١:٧»

وكان هذا فى رمضان شهر البعثة وشهر الرسالة الحقة شهر الهدى والنور وفى رمضان اكتمل دين الإسلام الذى نزل على قلب ولسان الرسل منذ آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها وكان ختام الدِّين على لسان الرَّسُول الأُمى الخاتم محمد بن عبد الله سيد الخَلْقِ أَجْمَعين وكان رمضان هو الشهر الفضيل الذى خصَّه الله بنزول الرِّسالات.

الباب السابع

الفصل الأول

الإسلام دين المعاملات المثالية بين البشر

الفصل الثانى

المعمار القرآنى لصلاح الفرد والأسرة والمجتمع

الفصل الثالث

المشروعية فى العلاقات الاقتصادية بين الناس

الفصل الأول

الإسلام دين المعاملات المثالية بين البشر

قال تعالى مؤدباً ومعلماً عباده سبحانه :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

«سورة البقرة الآية ١٨٨»

يقول العزيز الحكيم: إنَ أَمْنَ الناس وأَمَانهم رهن بالعدل والقسطاس خاصة فى مجال التعاملات المالية: فأكل الأموال يعنى أن يُحِل الإنسانُ مالَ غيره لنفسه فإذا استدان لا يرد أو يقلل أو ينقص أو يوْجل أو لا يوفى بما أخذ أو يستحل الربا أو ينكر ما أخذ.

أو يسرق مال غيره وغير ذلك مستندا على إمكانية الكذب أو الاعتماد على قانون وضعى ينفى عنه التهمة، أو أُسلوبِ قضائى يعفيه من رد ما عليه أو استغلال وفاة الدائن فلا يرد ما عليه للورثة.

أو التجارة غير المشروعة التى تسهل أُمور الكسب الحرام وغير المشروع أو النصب والاحتيال أو الغش والخداع أو بيع البضائع الفاسدة أو الاتجار فى المحرمات.

أو استغلال حاجات الناس أو الغش التجارى أو القتل من أجل الميراث أو السرقة فكل ذلك ومثلها أكل لِمَال الناس بالباطل .

والارتكاز على غيبة الإيمان ووجود منافذ دنيوية للنجاة أو العقاب الخفيف .

وهذا جُرْمٌ وذَنْب وهو من أكبر الآثام عند الله، ولا يخفى على أحد ما هو الضرر من ذلك على نفسه وعلى المجتمع وعلى سكينة البشر.

وعن الإنفاق ولمن يكون .. ؟

فإن الله فى محكم آياته أوصى بالإنفاق فى سبيله ، والإنفاق فى سبيل الله هو إنفاق المال ـ على حبه ـ على المسكين، وابن السبيل ، وفى الرقاب، والسائلين والمحتاجين وفى الصدقات وعلى اليتامى وذوى القربى وعلى كل أبواب الخير وكل ما هو إحسان لوجه الله وفى سبيله.

ثم إن الله يحذر من عدم الإنفاق فإنه مهلَكَةٌ للأمة ومضْيَعة لقوة الجماعة.

ثم إن الإمساك عن الإنفاق هو إلقاء للنفس وللجماعة إلى الهلاك .

وكذلك فإن الدخول فى حرب بغير بصيرة أو استعداد هو هلاك محقق ، وقوة أمة محمد لن تقوم أو تدوم إلا بالانفاق المشروع على القوة والمنعة وإعداد الرجال والتحصين بالعلم والخلق.

وإبعاد ضعفاء النفوس والمرتشين الذين يبيعون الأمة وأسرارها لقاء المال والأهواءِ فهؤلاءِ أشد خطراً من العدو ، والله يأمر بأخذ كل الأمور الخاصة بالأمة مأخذ الجِد والقرار الحسن؛ فالله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه.

وتعطينا قصة أبى الدحداح فى الإنفاق لمحة جمالية للإيمان :

ومن يقرأ قول الله (جل جلاله) :

مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

«سورة البقرة الآية ٢٤٥»

يتعلمُ الكثيرَ حينما يراجع قولَ اليهود حول هذه الآية وتصرفَ أحد صحابة رسول الله حينما سمعها فالغيرة والحقد تدفع إلى الظلام، والإيمانُ الصادق شعلة تضىءُ الحياة الدنيا وهو الوسيلة إلى جنة عرضها السماء والأرض.

اليهود قالوا الله فقير ونحن أغنياءُ وقالوا لو أنه غنى عنا ما طلب منا أن نُقرضه وهم مجادلون على مر التاريخ مكابرون مضللون فى كل عصر وأوان كذابون مفترون وكان هذا رَدَّهُمْ حينما سمعوا هذه الآية.

أما أحد صحابة رسول الله كنموذج إيمانى صادق واثق فى ربه وفى دينه حينما يسمع هذه الآية يجرى إلى رسول الله ويقول له :

يا رسول الله أعطنى يدك الكريمة.

فيمد الرسول العظيم يده إلى الصحابى أبى الدحداح فيقول أبو الدحداح : كيف لنا أن نقرض الله والرزقُ رزقُه والنعمةُ منه والصحة والعافية من رحمته والمال والبنون من كرمه.

يا رسول الله: إن الله يستقرضنا وهو غنى عن العالمين...؟

فيجيب الرسول الأعظم : إنه يستقرضكم ليدخلكم الجنة.

فيقول أبو الدحداح:

أُشهِدك يا رسول الله أن لى حديقتين من نخيل بكل منهما ستُّمائةِ نخلةِ مثمرة وقد جعلتهما قرضا لله رب العالمين.

وفى هذا المشهد العظيم من حب الله وصدق الإيمان يضع أبو الدحداح نموذجا للأجيال تأخذ منه درسا فى العطاءِ والخير.

ويستمع الرسول إلى قول أبى الدحداح ويشهد على ذلك إلا أن الرسول يقول له: إذن يجزيك الله الجنة .

ولكن اجعل احداهما لله واجعل الأخرى لعيشتك وعيالك.

فيقول الصحابى المؤمن :

أُشهدك يا رسول اللهأننى جعلت خيرها لله عز وجل.

ويستأذن أبو الدحداح الرسول ليكمل تنفيذ ما أشهد الرسول عليه وأقرضه لله (عزَّ وجلَّ) ويذهب ويستأذن ليؤدب اهل بيته أدباً إسلامياً يقوم على الحمد لله، وطاعة رسوله والنقاء فى السلوك ، ومحاسبة النفس والضمير.

ويذهب إلى الحديقة التى أقرضها لله فيجد أولاده يجمعون ثمارها ويقطفون من خيرها فينادى زوجته وأولاده ويقول لهم :

أفرغوا ما فى جيوبكم واتركوا ما جمعتم من هذه الحديقة فإننى أقرضتها لله، وهى الآن مال الله فى الدنيا، ولنا أضعاف مضاعفة فى الآخرة فانظروا ماذا نحن فاعلون.

وتجيب الزوجة العفيفة: خيرا ما فعلت.

ويجيب الأبناءِ عن طيب خاطر: إن ما عند الله باق يا أبانا.

فهنيئا لكل من يقرض الله قرضًا حسنًا، ويتجمل بحلاوة العطاء .

الزكـــاة :

وإذا كانت الصدقة والإحسان متروكة لاختيار العبد إلا أن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمس وزكاة المال تعنى أن يدفع الإنسان مما عنده «حقًا معلومًا».

وهى ليست صدقة ولكنها فريضة واجبة الأداءِ ولابد لمن يريد أن يكتمل إسلامه أنْ يقدمها فى وقتها المعلوم وبالمقدار الذى حدده الله ، والرقيبُ على الإنسان نفسه وحُسْن إسلامه.

فصوم رمضان معلق بين السماءِ والأرض ولا يُرفع إلى الله إلا لمن أدى الزكاة المراد بها صدقة الفطر وأطاع الله فى مقدارها.

الشروط الإيمانية لزكاة الفطر تتمثل فى :

- النية فى إخراجها.
- حساب قيمتها بنقود العصر حسابًا صادقًا.
- أن يخصص ويحجز من المال قيمة الزكاة.
- أن يتم دفعها قبل صلاة العيد.

والزكاة واجبة على المسلم العاقل الكبير والصغير الذى لم يملك ميراثا يخرجها عنه ولى الأمر.

وزكاة المال فريضة واجبة، ولكنها واجبة على القادر الذى يملك مالا أو أرضا أو متاعًا أو ثروة وما يماثلها.

وتستحق على :

١ـ الزرع : يوم يحصد ونسبته كالآتى:

١٠٪ من المحصول إذا كان لا ينفق مالا فى رى هذا الزرع.

٥٪ من المحصول إذا كان ينفق مالا فى ريِّه ، وضريبة الأرض التى تدفع للدولة لا تعفى من الزكاة.

٢ ـ **الماشية** : وهى كزكاة الزرع:

١٠٪ إذا كانت ترعى ولا تكلف فى إطعامها.

٥٪ إذا كانت لا ترعى ويتكلف فى إطعامها.

الذهب والفضة والتجارة والمصانع وكل ما يستجد من فنون الاقتصاد فحصة الزكاة عنها ٢,٥٪ وتستحق بمرور عام كامل على ملكية الأموال والثروات.

من يستحق الزكاة ... ؟

والزكاة فرض على أغنياءِ المسلمين واجبة الآداءِ .

١ ـ للفقراءِ .

٢ ـ والمساكين الذين أقعدتهم الأسباب عن الكسب.

٣ ـ ونصيب منها للذين يجمعونها ويُحصلُونها.

٤ ـ والمؤَلفة قلوبهم أى هؤلاءِ الذين نريد أن نستميل قلوبهم معنا من غير المسلمين.

٥ ـ وتحرير الرقاب، حيث إن الإسلام يرفض العبودية.

٦ـ وفى تسدديديون المؤمنين الذين يثقلهم ما عليهم.

٧. وفى سبيل الله والدفاع عن الإسلام والمسلمين .

٨. ولأبناءِ السبيل الذين انقطع بهم طريق العودة إلى بلادهم واضطروا للغربة والبعد عن الأهل والوطن.

والتاريخ الإسلامى له أسلوبه الفريد فى العظة والعبرة.

فيأتينا التراث الإسلامى بنماذج راقية توضح قيمة وأهمية الزكاة تجاه الفرد والمجتمع.

وهنا نستعرض نموذجا لأحد المؤمنين أدى الزكاة عن طيب خاطر فكان له من الله نعمة ورضاً.

ونموذجاً تمثل فى طمع والديه فى حق الفقراء .

وعن المؤمن الذى يملك أرضاً تثمر فإنه كان يتصدق اختياراً لوجه الله ويحسن على الفقراءِ والمساكين ويخرج زكاة ماله التى فرضها الله لأنه يعلم أن الله يقول «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم » ويعلم تماما حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ «ما نقص مال من صدقة».

ثم يعلم أيضًا الحديث الشريف الذى يقول «صوم رمضان معلق بين السماءِ والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر » .

كان هذا العبد الصالح يعلم أن الفقراء ينتظرون موسم قطف الثمار ليأخذوا حقهم إنَّهُ العُشْر لأن الله يُنعم على العبد الصالح بماءِ المطر الذى يُورق ويُزهر ويُثمر وكان الفقراء الذين يُكرمهم العبد الصالح يردُّون عليه كرمه بالدعاء له بالخير والبركة وقبل أن يموت دعا إليه ولديه وأوصاهما وأكثر فى توصيتهما بحق الله والتصدق والإحسان واخراج الزكاة، ومات العبد الصالح وأنعم الله على ولديه برزق وفير وثمر كثير وأصبحت الثمار من كل نوع قطوفا دانية ، وحان وقت الحصاد وأقبل الفقراءُ ينتظرون وإذا بالإبنين يتناسيان حق الفقراء، ويطمعا فى عطاء الله وفى حق الفقراء وزين الشيطان لهما نقمة الطمع فاستكثرا على الفقراء حقهم. وقالا فى صوت واحد غدا سوف نحصد فأتوا فى الغد، وأضمرا فى نفسيهما أمرا وقالا:

هل من الضرورى أن نعطى هؤُلاءِ إنهم لم يتعبوا فى شىءٍ لماذا نعطيهم، نحن أحق بكل الثمر، لقد كان أبونا يعطى. فلماذا لا نكتفى بما أعطى والدنا.

واتفقا على أن يذهبا مبكرين ويقطفا الثمر قبل أن يراهما أحد فلا يعطيا ولا يُخرجا ولم يصليا الفجر وذهبا إلى الحديقة لقطف الثمار.

وما أن وصلا إلى الحديقة حتى أصابتهما الدهشة والحسرة.

ما هذا ما الذى جرى ..؟

أهذه هى الحديقة ..؟

أين الثمار ...؟

أين الاخضرار ...؟

أين ما كان بالأمس خيرا وفيرا ...؟

رأيا أشجارا ذابلة محترقة وثماراً متساقطة تالفة، كل شىءٍ بِغَيْر ما كان فقد أصابها إعصار فيه نار فأحرق الطمع خيرَهم وذهب الجشع بحديقتهم عن آخرها .

وجلس الشقيقان يتحسران وإذا بالفقراءِ قادمون ليجدوا الجنة تحولت إلى هشيم وإذا كان الأخوان يعرفان أن هذا من عند الله نظير ما كان فى قلبيهما إلا أن الفقراء لا يعرفون لكنهم يذكرون أن هذه الحديقة كانت خيراً عليهم وكانوا يأخذون منها حقًا معلوما لهذا تشاوروا جميعًا وعزموا على أن يردوا العطاءَ الذى كانوا يأخذونه من مال الغنى بعطاءٍ يستطيعون أداءه بقواتهم وكدهم فحملوا الفئوس وعملوا طويلا وبجهد واستمروا فى فعلهم حتى عاد للحديقة جمالها واخضرارها، والأخوان قد وعيا درس البخل ودرس حُقوق الله وعاد موسم الحصاد وكان أولَ ما فكر فيه الشقيقان حقُّ الله فى ماله وحق الفقراء فى الزكاة.

الفصل الثانى

المعمار القرآنى لصلاح الفرد والأسرة الإسلامية

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ
بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ
رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٠٤/٢٠٧»

الجاهلية ليست زمنا مضى، ولكن الجاهلية فى كل العصور يمثلها كل أولئك الذين يتشبهون فى تصرفهم وأفعالهم بالذين تحدوا الإسلام فى بداية الرسالة وتحدوا الرسول فى بداية دعوته.

فالجاهلية لها جذورها فى كل عصر وأوان.

ففى أيام الرسول وفى أيامنا هذه وفى المستقبل تجد المتفلسفين الذين تعجبك بلاغتهم فى التعبير عن الإيمان وعن الحياة الدنيا الزائلة ويعجبك قولهم وهم فى الحقيقة خَصْمٌ لكل حق ولكل إيمان وهؤلاء منافقون لا

يرجى منهم خير والله يعلم أُمورهم وخبثهم ومدى كرههم للإيمان والله سوف يجازيهم فى مهاد النار وفى دركاتها.

وعلى النقيض والعكس تجد هناك عبادا يخلصون الإيمان ويحسنون عبادة الله يشترون أنفسهم بطاعته ويرجون رضاه ورحمته.

والله لا يضره كفر العباد أو إيمانهم فمن يعمل صالحًا فلنفسه.

والله رؤوف بكل عباده إلا أن الرأفة والرحمة فى الآخرة تخص من يختارهم بالإيمان والتقوى .

ولأن الله يحب أن يؤمن به عباده جميعًا ويطيعوه ولا يشركوا به شيئا فلقد دعاهم إلى الدخول فى حظيرة الإيمان والطاعة والاستسلام لأوامره ونواهيه وألا يُطيعوا الشيطان فإنه لهم عدو مبين.

ويؤكد الله لعباده الذين تأتيهم بينات توضح لهم حقيقة الإيمان فيؤمنوا ثم تأتى شياطينهم أو نفوسهم الخبيثة لتزيِّن لهم الخروج عن حقائق الإيمان أنه سوف يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وإذا كان جزاء الله لأمثالهم السابقين كان رادعا ورهيبا فإن هؤلاء لن يثوبوا إلى رشدهم إلا بعذاب مماثل لكن الله يؤجل حسابهم إلى يوم تشخص فيه الأبصار ويوم يرجعون إلى خالقهم برحمته وعقابه.

وهم أمثال بنى إسرائيل الذين أنعم الله عليهم نعماً لا تحصى وآتاهم بينات الحق والنور فجحدوا النعم وتجاهلوا الحق فكان حظهم العذاب الشديد.

وكذلك سيكون عذاب كل مستهزئ بالدين أو بالمؤمنين أو يسخر منهم فسوف يراهم فى مكانة عليا ومقام أمين يوم القيامة ويرى نفسه فى الدرك الأسفل من النار.

وعن الوحدة الإنسانية وأسباب الاختلاف بين البشر.

قال تعالى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢١٣/٢١٥»

فيقول (عزَّ وجلَّ) « كان الناسُ أمةً واحدةً ».

على فطرة الله التى خلقهم عليها، والله لم يترك خلقه دون تأديب على الوحدانية والربوبية والطاعة لله لما فى ذلك من ضمان لصلاح الكون. ولأن الخلق جميعًا من نسل آدم وحواء ففيهم - جميعًا أبيضهم وأحمرهم وأسودهم وأصفرهم - جزئية واحدة ممتدة من جيل إلى جيل وعبر الأجيال من الأصل الواحد المشتق من الأب الواحد والأم الواحدة خلية كامنة حية

أصلية من الأب الأول فكيف يخفى على العقل أن يتفهم أننا جميعًا ننتمى إلى جد أعلى هو آدم ونحن جميعاً أمة إنسانية واحدة فى الخلق، واحدة فى الإدراك العقلى والوجدانى والحسىّ ، وخلقنا أمة واحدة إلا أن الاختلاف والافتراق فى اللون واللغة والمعرفة والعراقة والتفنن والتخصص والعطاءِ والأمزجة لتتغير الألوان فتتكامل .

وتتغير اللهجات واللغات لتتكامل روافد المعرفة.

وتتغير الأمزجة لتتنوع الأحاسيس.

ويتغير إيقاع الفكر ليتكامل نظام الحياة.

فلو أننا جميعاً لونٌ واحد وليس فينا الأسود والأبيض والأحمر والأصفر لَمَلَلْنَا النظر إلى وجوهنا .

ولو أننا جميعًا بلغة واحدة لما تعددت وتطورت المعارف الإنسانية وتطاولت الآمال والأشواق والاجتهادات.

ودليلنا فى هذا أن الوجود الإنسانى كالمعزوفة الموسيقية لَنتصَور أنها تُؤدى على أوتار آلة موسيقية واحدة دائمًا وأبداً نَسمعها هل نحس بجمالِهَا أم سوف نَملُّهَا ...؟

وعلى العكس لو أن هذه المعزوفة تؤدى بآلات موسيقية مختلفة فهل يختلف الطعم والمذاق والإحساس والمتعة..؟ بالطبع نعم سوف يكون هناك نشوة تتدفق وأنغام تتعالى وتتهادى وقسمات تؤدى وتنفذ وتذوُّق وارتياح نفسى كبير:

هذه هى معزوفة الحياة التى خلق الله أدواتها المختلفة لونا فى الشكل البشرى ونغما فى لغة الأجناس وإيقاعا فى حس البشر حتى يتقاسم الناس درجات الحياة وإيقاعات ونبض الزمان.

وكـان من الضـرورى أن يعـتنى الخـالق بخلقـه بـالتـهـذيب والتطور والانسجـام مع المتغيرات الكثيرة وآثار التنامى المتزايد فى الارتقاءِ بالجنس البشرى ومطالبه المادية والروحية.

ولأن الله أوجد العقل وأوجد الاختيار بين الخير والشر ثم أوجد الشيطان فى الأرض مُوَسْوِسًا ومُزَيِّنًا للشر والحقد والباطل.

كان من ميزان عدله أن يُرسل البينات على لسان المرسلين والنبيِّين معلمين للحق والخير والحب فى كتبٍ من عنده يُبَيِّنُ الأوامر التى يجب أن يمتثل لها الخلق والنواهى التى يجب ألا يقربوها وأن يجتنبوها ثم أتت الكتب أيضًا بكل ما يُصلح حال الخلق ويُوفِّق بين مصالحهم.

ثم يُعلِّمهم أدب الاختلاف وكيف يكون الفصل فيه بالعدل والقسطاس المستقيم من أجل استقامة الخَلْقِ على شريعة الله ومن أجل المثل العليا التى ارتضاها الله لعباده.

ومن أجل بيان الغاية الكبرى والحقيقة السامية حول الدنيا الزائلة والآخرة الباقية .

ويبين الله الفرق بين الذى تأتيه البينات بالحق فيهتدى حبا فى الله وفى الحق الذى نزَّله.

وبين الباغى الذى يتجاهل هذه البيِّنات ويغلبه هوى النفس ويضل ويبغى ويتعامى عن الحق والصراط المستقيم.

ويُحَبِّب الله للمؤمنين قوةَ الإيمان ، وذلك أُسوة بآبائهم السابقين الذين مستهم الضَّراءُ وواجهتهم الشدائد والمصائب والأهوال ولم يَضعف إيمانهم بل استعانوا بالصبر وهم يوقنون بقوة الإيمان أن الله ناصرهم فى الحياة الدنيا لأنه مقدر للحق دائما الغلبةَ والنصرَ ويؤكد أن الجنة أُعِدت للصابرين.

ويُجيب القرآن على معنى الخير ولمن يكون ويؤكد أن الإنفاقَ من الأموال على الوالدين والإحسان لهما وإرضاءَ الأقارب والعطفَ عليهم واليتامى لتَطييبَ خواطرهم والمساكين لإعانتهم وأبناءِ السبيل لطمأنتهم وتأمينهم هو من فعل الخير الذى يحبه الله ثم إن كل خير من إنفاق بالمال أو تفوهٍ بالكلمة أو فعل بالحق فى سبيل الله ومرضاته يعلمه الله ويجازى به فاعله سترا فى الحياة الدنيا ونعيما فى الآخرة.

وعن آدب ومشروعية القتال فى الإسلام :

قال تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

«سورة البقرة ٢١٦/٢١٧»

ويوضح الله جل جلاله عقيدة الجهاد والنضال وميثاق الحرب المشروعة فى الآتى :

١ ـ كتب الله على المؤمنين القتال بالحق ومن أجل الحق وإن كان هذا القتال مكروها لما فيه من إهدار للأموال والأنفس إلا أنه مقدر من الله حيث يعلم صلاح خلقه وخيرهم.

٢ ـ برغم أن الإسلام وهو دين الرحمة والرأفة يزرع الجوانب الروحانية فى النفوس المؤمنة بما يمثله من بغض للحرب والقتل والاقتتال إلا أن الله فرض القتال كضرورة من ضرورات سلامة الأمة وسلامة المؤمنين ولدفع العدوان.

٣ ـ سلامة الأمةِ الإسلامية والمسلمين فى مواجهة كل من يعادى الدين الإسلامى أو يحاول إطفاءَ نور الإسلام أو يحاول النيل من عقيدة المسلمين أو فتونهم بالإخراج من الديار وسلب الأوطان والأموال والحرمات.

٤ ـ يوضح القرآن لجميع الأجيال المسلمة المبادئ السامية التى يجب امتثالها فى مواجهة متغيرات الحرب والسلام وعوامل القوة والضعف ويعطى نماذج مما يحرم إلا أنه أحلَّه إذا لزم أمر الحفاظ على الأمن والطمأنينة والدفاع عن الحق.

فهو يُحرِّم القتال فى الأشهر الحرم وعند البيت الحرام بمكة إلا أنه أحل القتال لرسول الله وأصحابه والمسلمين ما دامت ضرورة الجهاد والنضال من أجل نصرة الله ونصرة دينه .

وما دام القتال فى مواجهة قوى الشر التى تعتدى على الحرمات وتفتن الناس بالإخراج من الديار .

والفتنة التى تعنى الإخراج من الوطن والديار وهدم صروح الأمن والأمان هى أشد من القتل لأن القتل يعنى انتهاءَ الحياة لمن قتل.

ولكن الفتنة تعنى قتلَ الكرامة وقتلَ المبادئِ والمثُلِ وقتلَ شريعةِ الحق وإهدارَ مقومات السلام والطمأنينة ، فهى أخطر وأصعب من القتل.

لماذا يحاربون الإسلام ... ؟

على مر العصور والأجيال يواجه المسلمون حربا وقتالاً كبيراً من القوى المناوئة للإسلام والتى يشكل السموُّ الإسلامى خطراً عليها.

وهذا يفسر لماذا يواجه المسلمون فى كل مكان من الأرض مخاطرَ وتحدِّياتٍ ولماذا يشَوَّه الإسلام والمسلمون بالمزاعم والاتهامات من قِبَلِ الإعلامِ غيرِ الإسلامى ... ؟

ولماذا تكثر الكتابة المضللة التى تسىء للإسلام وإلى مبادئه ...؟

ولماذ يزداد التحدى يوما بعد يوم ...؟

ولماذا تنتشر جماعات التبشير وأسلحةُ التدمير الأخلاقيةِ ممثلةً فى أفلام وإعلامِ الجنس والإغراءِ والانحراف والجريمة وإعلانات الاستهلاك القيمى والدمار الخلقى.

هى حرب موجَّهةٌ إلى الإسلام إلى نساءِ الإسلام وإلى شباب الإسلام وأطفاله وضمير الأمة الإسلامية ومعتقداتها.

حرب تنظمها اليهودية العالمية لتدمير الإسلام؛ لأن الإسلام هو الذى كشف أباطيل اليهود وأزاح الستار عن مساوئهم.

وتنظمها القوي المعادية للإسلام ، لأن الإسلام يقضى على عبودية البشر وآلية الإنسان وحرمانه من القيم الدينية والمعنوية وتنظمها الرأسمالية العالمية لأن الإسلام يرفض الاستغلال والاستعلاءَ فى الأرض.

وهكذا يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

«سورة البقرة من الآية:٢١٧»

ولهذا فإن الله (جل وعلا) يُنبِّه المسلم إلى أهمية الإيمان بالقلب لأن القلب المملوء بالإيمان به قوة لا تُغلب ولا يضعفُ أو يُهزم أبدا.

والمؤمن القوى حينما يُؤْذَى أو يُعذَّب فى سبيل الله يشعر بحلاوة الإيمان فى كيانه، وبمذاق الجنة على لسانه.

فجسده يُعذَّب وروحه ترتقى درجاتٍ من السموُ الروحى .

وجسده يُقطَّع، وروحه تكتمل نضجا وكمالا.

وهنا يؤكد الله على أهمية الزاد الإيمانى فى نفوس عباده ويحذرهم من عدم مواجهة أعداء الله والدين أو الانقياد لهم والخوف منهم فمعنى هذا ارتدادهم عن الصواب والحق والإيمان الذى كانوا فيه.

ويعنى هذا كفرَهم بالحق فيخسرون أنفسهم ودينهم ودنياهم ويصبحون من أصحاب النار يُخلدون فيها وبئس المهاد.

وللحفاظ على قوة المؤمن وقوة الأمة الإسلامية ، أوجد الله معايير الحفاظ على العَقل والعَطاء ، فالخمر والميسر آفتان لهلاك الفرد وفساد الأمة .

وعن كل ما يذهب عقل المسلم ويبعده عن جمال الإيمان :

قال تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾

«سورة البقرة من الآية ٢١٩»

ومن القيم الجمالية للإيمان أن يحافظ المسلمُ على بنائه الإنسانى واتزانه العقلى فالعقل والإدراك والذوق أمانه فى يد صاحبها سوف يسأله الله عنها يوم القيامة لهذا فرض الله قيوداً يجب أن يلتزم بها المسلم.

فحرَّم الخمر والميسر عليه وما شابههما بما يؤثر فى العقل والسلوك الايمانى.

فحرم الله الخمر.. لماذا ؟

الخمر هى الشىء الذى يتخمر من نقيع العنب أو عصير الزبيب ومن التمر إذا غلى حتى يتخمر وطُبِخَ حتى يذهب ثلثاه.

وتسمى الخمر لأن شاربها يتخمر عقله ويذهب منطقه واتزانه ويصبح لهوا للغير.

القمار أو الميسر :

سمى أيضاً بهذه التسمية لأنه أخذ مال الغير بيسر أو هو استلاب للميسرة ولقد حرم الإسلام الخمر إقتراباً وتحريماً قاطعاً حفظاً لعقل

المسلم من الضياع أو التيه وحرم القمار لأنه يضع أموال المسلمين فى موازين الأحقاد والكراهية وآفاق الضغائن والفتن ثم إن القمار مفسدة للعلاقات الإنسانية ومضيعة للبر والرحمة بين الخلق.

ولقد نزلت فى الخمر آيات أربعة تدرجت من التحليل الجائز إلى التحريم القاطع.

ولأن علاج الداء العُضال أى الصعب لا يتم مرة واحدة بل يحتاج إلى جرعات متتالية خاصة إذا كان العلاج يتعلق بمرض عقائدى .

فلقد قال تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾

«سورة النحل من الآية ٦٧»

فالله قال عن الرزق المفيد للبناء الإنسانى رزقاً ثم حسنا لأنه لا يمس العقل ويقوى الحياة والحركة الإيمانية.

وقال عن المسكر سكراً ولم يصفه فهو بالقياس ليس حسناً أو ليس فيه خير وفيه جذب للانتباه وتنبيه.

ثم قال (تعالى) : **﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾**

فلما نزلت هذه الآية امتنع أقوياءُ الإيمان لأنهم لا يريدون إثما ، وشربها بعض الناس .فأصبح هناك تناقض وجدل نفسى حول الإثم والمنفعة.

ثم قال (تعالى) : **﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾**

وهنا امتنع الصحابة عن شربها وقت الصلاة ولأن الصلاة وأوقاتها الخمس تشمل أغلب النهار وجزءًا من الليل.

إلا أن شربها كان يضعف الإيمان لذهاب العقل والاتزان.

ولهذا دعا سيدنا عمر بن الخطاب ربه وقال اللهم أنزل لنا فى الخمر بيانا شافياً.

هنا نزلت الآية الكريمة من سورة المائدة (٩٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

ومن يومها فالخمر أم الكبائر ويكفى أنها تساوى بين الإنسان والحيوان الثائر.

والعلم والطب أقراً ضررها البالغ وحينما يتشدق البعض بمنافع الخمر والميسر مستشهدين بقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾

فيجب أن يفهم الآتى :

إن الميسر إثمه كبيرٌ وغُرمه مُجْهِدٌ ويخلق عداوةً بلا سبب وحقداً وكراهيةً وفيه ضياعٌ للوقت فيما لا ينفع وصرفٌ للعقل عن جادة التفكير ومدعاة للكسل والتواكل والخمول.

وكذلك فالخمر إثمها عظيم فهي مهلكة للمال مذهبَةً للعقل مضيِّعة للصحة أما ما يقال عن منافعهما: ففى الخمر ربح وتجارة لمن يتاجر فيها على حساب عقول الخلق وفى الميسر غنى من غير تعب ولا مشقة ولا بركةً فيه لصاحبه فلا منافع على الإطلاق من هذا ولا ذاك.

ثم يؤدب الله عباده ويأمرهم بضعفاء المجتمع :

فيقول تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

«سورة البقرة ٢٢٠»

فتوصى الشريعة الإسلامية بأموال اليتامى والحفاظ عليها وتنميتها .

وتوصى باليتامى وإصلاح أحوالهم وتجعلهم أمانة الله فى ضمير الأمة وتوجب كفالة حقوقهم وحرمةَ أموالهم وتأمرُ بمخالطتهم أشخاصاً وأموالا بالمعروف، وبالإحسان.

ويحذر الله كل الخلق من مساس حقوقهم أو مخالفة أوامره فى شأنها.

ويعتنى الإسلام بشئون بناء الأسرة التى هى لبنة المجتمع :

فيقول تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٢١»

وفى شأن الزواج بالمشركات والمشركين:

يوصى القرآن الكريم الإنسان بتفضيل الزواج من المسلمة حتى ولو أعجبه أو أغراه جمال المشركة أو افتُتِنَ بها لأن الإيمان المتكامل بين الرجل والمرأة يؤكد وحدة عقيدةِ الأجيال ويضمن سلامة الوجدان الأُسرى.

وكذلك يحرم على المسلمة أن تتزوج من مشرك حتى ولو كان هوى المسلمة يميل إليه، لأن ذلك محرم عليها ولأن ذلك مناف ومناقض لشريعة الله.

وفى شأن الأدب السامى مع الله يقول تعالى مؤدباً عباده:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٢٤ - ٢٢٥»

يقول الله تعالى . « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم »

هنا نذكر المناسبة التى نزلت فيها هذه الآية . فلقد نزلت فى الصدِّيق أبى بكر ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾ حينما حلف ألاَّ ينفق على مِسْطَح وهو أحدُ المسلمين الذين افتروا على السيدة عائشة زوج الرسول.

ولكن الله قال : إن الله لا يرضى بأن يكون الحلف به حائلا دون فعل الخير وأوصى بأنه إذا حلف الإنسان بيمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وما دام البر غايتكم وتقوى الله هى رجاؤكم وإصلاح أمور المسلمين هى القصد فالله ينظر للنوايا وما فى القلوب ولا يأخذ بالأقوال واللغو فى الإيمان أى الخطأ فى الحلف أو التعجيل فى القسم.

ثم وضع أحكام الأمر بالمعروف والاحسان بين الرجل وزوجته فيقول تعالى فى شأن ميثاق الأسرة الإسلامية :

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ
بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ

ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٢٦: ٢٣٢»

وهكذا وضع القرآن للوفاق الأسرى ميثاقاً للرحمة والمودة لا يرتقى إليه أى قانون بشرى.

حيث صان حقوقَ المرأة - الأم والزوجة والأخت والابنة - واستقرارَها الأسَرى وأمنها الوجدانى، فأحلَّ لمن يحلف ألا يقترب من امرأته أن يعيدها ولا يطلقها خلال شهور أربع وأن يرجع فى يمينه وقسمه.

وحرم على المطلقة أى تصرُّف من شأنه المساسُ بطبيعة الحياة الزوجية وحرماتها لمدة ثلاث حيضات حتى تكون رغبة الوفاق والاستمرار قائمة بين الزوجين دون شكوك. وحرم على المطلقة أن تخفى حملاً فى بطنها فقد يكون الإعلان عن الحمل مدعاة للوفاق وإنهاء الإفتراق.

فى شأن الطلاق:

فلقد قال ﷺ: طلاق الأمَةِ تطليقتان وعِدَّتها حيضتان.

وشروط الطلاق فى الشريعة الإسلامية محددة واضحة فليس الطلاق

كلمة فى ثورة غضب أو خلاف أو نقاش ولكن الطلاق دستور له أركانه وضوابطه وحدوده المشروعة وكذلك لا يمكن للإنسان أن يطلق امرأته وهى فى الحيض .

وهذه المراجعة من عدل الله للإبقاءِ على قدسية الأُسرة.

وأيضا شرع الله المعروف والإحسان كضوابط لحماية الأُسرة.

فالإبْقاءُ على المرأة لابد وأن يكون مرتكزا على المعروف فى المعاشرة وبلا كره أو إيذاءٍ أو ضغط أو إجحاف. والتطليق دون إذلال أو أكل الحقوق وفضح الأسرار.

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾

«سورة البقرة ٢٣٣»

والشريعة الإسلامية تقر موازين العدل والرحمة بالأبناءِ.

فلقد أوجبت للمطلقة ولها أبناءٌ رُضَّع أن تكون الرضاعة عامين كاملين وأوجبت على الوالد المطلّق كسوة وإطعامَ المطلّقة وتوفيرَ الرزق المناسب لها ولأبنائها بالمعروف وأيضاً دون أن يكلّف بما لا طاقة له به.

فلا يجب أن تُضارَّ المُطَلَّقَة، ولا يجب أن يُضار المُطَلِّقُ .

حرصا على ترضية الخواطر وسيادة المعروف بين الناس قرابةً ومودة.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾

«سورة البقرة ٢٣٤»

وحرصاً على نقاءِ الاجيال وانتساب الأبناءِ لآبائهم الشرعيِّين أوجب على الزوجة الذى يتوفى زوجُها أنَ تحفظ قدسية رباط الزوجية للزوج المتوفَّى أربعة أشهر وعشرة أيام. والطبُّ الحديث أكد على أن الجنين الذكر يتحرك فى بطن أُمه فى غالب الأمر لثلاثة أشهر.

وإذا كانت أُنثى فإن الجنين يتحرك لأربعة أشهر ولهذا فقد جاءَ الأمر بإمساك النفس عن أية تصرفات لأربعة أشهر وعشرةِ أيام تأكيدا لحقوق البنوة للمتوفى.

وبعد هذه المدة فللأرملة أن تخضع للشريعة السمحاءِ بالمعروف فيما تراه حلالاً وترضاه عدلاً.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۗ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۗ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾

«سورة البقرة ٢٣٥»

يشرع الله سبحانه تشريعا يحفظ على المرأة سموها ومكانتها فيحمى المرأة من نظرة الإغواءِ والطمع.

ولهذا فإنه يحرم أن يكون للمرأة المطلقة طلاقا رجعيا فى فترة العدة أن تعرضَ بالخطبة من غير مطلقها لأنها خلال فترة العدة تكون فى عصمة زوجها .

أما المرأة التى تُوفّى عنها زوجُها أو المطلقة طلاقاً بائنا :

فأجاز المشرع الأعظم أن يعرض عليها الرجل بأمر الزواج تعريضا لا صراحة فيه. وهذه رخصة من الله لعلمه بمشقة الكتمان على النفس البشرية.

إلا أنه حرم القول والفعل الذى يخدش الطهر والنقاءَ والحرمات.

ثم إن الله نهى عن أى تصرف حتى تنتهى فترة العدة .

ومن هنا فالآيات الكريمة تعنى :

- لا يصح التصريح بالزواج للمعتدة (التى فى عدة).

وعن وصية المتوفى الذى يترك زوجة يقول تعالى :

﴿ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٤٠»

ومنْ أعظم أحكام الشريعة الإسلامية ما يأمر به سبحانه ويوصى به ورثة المتوفىً من باب الأدب الإسلامى والذوق الاجتماعى ألا يخرجوا المتوفىً عنها زوجُها قبل مضى السنة.

ولهذا فلها سنة ينفق عليها من مال زوجها المتوفى ولكنها إن خرجت بعد مضى العدة ومن نفسها فلا جناح على الورثة ولا لوم عليهم ثَمّ ولا لوم عليها فيما تفعله بنفسها من الخروج أو التزين ما دام لا يتنافى مع الشرع.

الفصل الثالث

المشروعية فى العلاقات الاقتصادية الإسلامية

قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾
وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

«سورة البقرة من ٢٦١ ـ ٢٦٧»

الشريعة الإسلامية والانفاق فى سبيل الله

الإنفاق المشروع وغير المشروع فى الإسلام:

يكرر الله سبحانه ويذكرنا فى كل موضع بأوامره حول الانفاق ويعطى دائما أمثلة توضح فائدة الإنفاق ومضار الإمساك والبخل وعظمة المنفق وثوابه فى الدنيا وفى الآخرة .

والإنفاق فى سبيل الله ركن أساسى لدعم الدين والدنيا والأمم ، فما بخلت أمة بمالها إلا وحل بها الذل والاستعباد ، وسلط الله عليها الأعداءَ من كل جانب ومن كل زمان.

والإنفاق واجب وضرورة فى وجوه الخير ولمواجهة متطلبات القوة بالعلم ومحاربة أمراض كل عصر ونشر الدين والمعرفة الحقة، والله يحب المنفق قويا فى إنفاقه عظيما فى عطائه.

- فعليه أن يُنفق دون أن يصاحب الإنفاقَ اعتداءٌ على من أنفق عليه بكلمة لوم أو تكبر أو اعتداء على حرماته وكرامته.

- وعليه أن يكون إنفاقه خالصا لوجه الله وحده وليس للرياءِ والسمعة وليقال عنه إنه كريم وجواد.

والله يضرب مثلا لهؤلاءِ الذين ينفقون أموالهم بالمن والأذى والرياءِ والسمعة.

فيقول إن مثل هؤلاءِ كمثل الحجر الأصم. الذى عليه تراب ولما نزل المطر ذهب التراب وبقى الحجر الأملس كأصله.

وهذا الذى يمن أو يُرائى يلبس ثوبا غير ثوبه ثم لا يلبث أن ينكشف أمرُه وتعرفَ الناس أنه ينفق من أجل السمعة فيكون إنفاقه كردائه الذى يماثل التراب الذى كان على الحجر سرعان ما يخسر ثواب إنفاقه فى الدنيا ويخسر ثواب إنفاقه فى الآخرة.

ويلقَى ربه وليس له من عمل صالح أو إنفاقٍ خالص فى سبيله.

وعلى العكس فالمنفق فى سبيل الله ومرضاته يجود بقدر ماملك واستطاع فإن أصابه خير كثير أنفق كثيرا وإن أصابه قليل أنفق على قدر سعته . فخيره دائم وبرُّه لا ينقطع كالبستان يثمر دائما سواء أصابه مطر قليل أو كثير .

ثم إن الله يوصى المنفقين فى سبيله أن يكون إنفاقهم من الطيِّب الحلال ومن أجود وأحسن ما رزقوا ولا ينفقوا من الخبيث الردىءِ لأن الله طيب لا يحب إلا الطيب.

ويؤكد الله لعباده أن هناك وساوسَ سوف يتعرض لها كل منفق ، وهواجسَ سوف تواجهه فكلها من عند الشيطان سواء الشيطان الرجيم أو شياطين الإنس التى تخوِّف المنفق من الفقر والحاجة.

ولكن المؤمن القوى هو الذى يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويسمع نداءِ العقل والفطرة وينفق فى سبيل الله وسوف يتأكد له أن وسوسة الشيطان باطلة وأن الكريم لا يضام ولا يصيبه فقر أو حاجة.

ميزان الحكمة :

وهنا لفتة قرآنية عظيمة يا ليت كلٌ متدبر يعيها ويعرفها فهى ميزان يستطيع به كل مؤمن أن يعرف معيار إيمانه ومعيار إيمان غيره.

فالمؤمن يتميز بالحكمة فى سلوكه وبالعلم الصحيح فى إدراكه بحقائق الخير والشر والتقوى والهدى والحق والإنصاف والعدل والأخلاق.

والله يهب هذه القدرة والنعمة لمن هُدِىَ الصراط المستقيم ويتولاه دائما بالعناية والرعاية وينير بصيرته.

ومن وهبه الله هذه القدرة فقد وهبه الخير الكثير.

ويضع الله (سبحانه وتعالى) حدود إنفاق الأموال مع مراعاة متغيرات حركة الحياة وتطور المفاهيم.

فالإنفاق أولا : على المجاهدين فى سبيل الله وبالتوالى فالإنفاق على إعداد عُدة الجهاد فى سبيل الله ودفع الأذى عن أُمة الإسلام.

والإنفاق ثانياً : على الذين لا يستطيعون كسب أرزاقهم فهنا يكون الإنفاق على المرضى وعلاجهم واليتامى وضعفاء الخلق وعلى المساكين والمحتاجين وعلى الذين يعانون فى المجتمع وعلى فقراء الأمة.

والإنفاق الثالث : وهو الذى يقع على عاتق أُولى الأمر لأن هناك فئات عفيفة ضعيفة محتاجة لا تسأل عطاءَ ولا تطلب صدقة فعفتُهم تمنعهم ورجاؤهم فى الله كبير وهؤُلاءِ مسئوليتهم على عائق من يقودون المجتمع.

والإنفاق الرابع : هو الإنفاق على الشباب خاصة شباب الأُمة فى هذه الأيام صفر الأيدى وأفكارهم صارت مادية خالصة ولقد صعب عليهم

مواجهة الحياة بهذه المتطلبات المادية التى طغت على جوانبهم المعنوية والروحية والإنفاق هنا يتركز فى جانبين :

- انفاق لكبح جماح التطلع المادى للشباب وصقل أفكارهم بالصبغة الدينية الحقيقة (إنفاق معنوى وجدانى).
- وإنفاق على تحرير الشباب من الفساد الخلقى وتوفير فرص العمل وفرص المسكن والزواج (إنفاق مادى).

وقال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟
فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٧٥ : ٢٨٠»

الربا ومخاطره :

وآيات القرآن الكريم تنقلنا إلى قضية الربا لما تشكله من خطورة على الفرد وعلى المجتمع.

فالدين الإسلامى دين تعاطف ورحمة وبر وخير ووفاق وأخوة صادقة .

والدين الإسلامى يحافظ على صِلاتِ الحب والمودة بين الناس ويوصى على أن تحل المروءَات محل القوانين.

وأَوجب الصدقة والتعاون والرحمة من القوى على الضعيف ومن الغنى على الفقير وأن تكون المعاملة بالحسنى .

ولهذا فقد حرم الربا والاستغلال والربا: هو مال يُؤْخذ من المحتاج بلا عوض ولا وجه شرعى.

والربا نوعان :

ربا النسيئة ، وربا الفضل.

وربا النسيئة : يعنى أَن تَستدين من المرابى مبلغا من المال على أَن ترده بزيادة يحددها المرابى وإن حل موعد السداد ولم تستطع فعليك أَن تؤَجل السداد مقابل زيادة أُخرى يجب عليك دفعها أَيضا.

وربا الفضل: هو الزيادة المشروطة للدائن بغير مقابل كأن تقترض مائة جنيه على أن تدفع فى العام القادم مائة وعشرين جنيها.

والربا فى شريعة الله محرم لأنه :

- يقطع الصلة بين الناس .
- يوجد الحقد والحسد ويولد الكراهية والبغضاءَ .
- يجعل الناس تتعامل مع بعضها كالذئاب الجائعة فكل ينتهز الفرصة ويتربص بأخيه الدوائر.
- فيه هلاك الأمة .
- والربا إذا شاع فى الأمة شاع الفقر ونزلت الآفات.

وعن الدَّين قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ ﴾

«سورة البقرة من الآية ٢٨٢)

ميثاق التداين فى شريعة الإسلام:

أوصى القرآن بالصدقة والإنفاق وأكد أنهما منتهى الرحمة والتواد بين الخَلْق.

ثم حرم الربا وأكد أن التعامل به قسوة وغلظة.

وهنا يؤكد الحق أن أحكام الدين فى شريعته السمحاء نهاية العدل والحكمة .

وشريعة الله فى الدَّيْن والتجارة بيعا وشرآءً واقتراضا تؤكد أن الإسلام هو دين العلم والعمل والحق والصلاح.

فما الذى يشرعه القرآن بخصوص التعاملات المادية ...؟

١- إن من يتعامل بالدَّين المؤجل بيعا أو قرضا فعليه أن يكتب ففى الكتابة خير للدائن وللمدين.

٢- من الضرورى أن يكون كاتب الديون عادلا فى كتابته لا يميل ولا ينحاز عن الحق فهو الفيصل بين الدائن والمدين فلا يزيد أو يُنقص فى أُصولها.

٤- لا يصح ولا يجوز أن يمتنع كاتب عن كتابة عقدِ تداينٍ ما دام يمكنه ذلك وعليه ألا يمتنع ما دام قد أخذ أجره بالعدل والحق.

٥- حدد الله بحكمته أن من يملى الكاتب هو المدين أى الذى عليه الحق ليكون الإملاء حجة عليه، وعليه أن يتقى الله فلا ينقص من الحق الذى عليه شيئاً عند الإملاءْ.

٦- إذا كان الذى عليه الحق «المدين» سفيها لا يحسن التصرف فى ماله لنقص فى عقله أو كان صغير السن أو شيخا مسنًا أو لا يستطيع الإملاء لجهله فعلى الذى هو ولى أمره أن يملى الكاتب بالعدل والإنصاف.

٧- إنه من الضرورى أن يشهد على هذا اثنان كاملا البلوغ والعقل والحرية والإسلام ممن حضروا كتابة العقد.

٨- إن لم يتوفر رجلان فرجل وامرأتان ممن يُرضى عنهم لإيمانهم وعدالتهم . والإسلام حينما جعل المرأتين بمنزلة الرجل الواحد خوفا من أن تخطئ إحداهما فتذكرها الثانية لقلة ضبط النساءِ للأُمور

المالية وقلة اهتمامهن بمثل هذه الأمور.

٩- يحذر الله الشهود من أن يرفضوا الشهادة لأن من سمات الإيمان القوة فى مواجهة مواقف الحق ، ورفض الشهادة معصية كبيرة ، وشهادة الحق تحفظ للمجتمع أمنه واستقراره ، وهذا هو دور كل مؤمن مسلم.

١٠ - ويؤكد المشرع أن الدَّينْ مهما كان صغيرا أو كبيرا فمن اللازم كتابتُه حفاظا على الحقوق ومنعا للنزاع والشقاق.

والله (سبحانه وتعالى) شرَّع ما شرع فى شأن الدَّين لأنه حكيم عليم بطبيعة البشر وهو يحدد موازين العدل الملائمةَ لصلاحهم.

وقال تعالى :

﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

«سورة البقرة من ٢٨٢ ـ ٢٨٣»

١١- وفى شأن التجارة : يشرع سبحانه ما يتلاءم والوفاقَ بين الناس فيجب في حالة التجارة الحاضرة أن تكون الشهادة كافية فى مثل هذه الأمور لأن الكتابة لا تتناسب مع حركة التجارة وتعاملاتها السريعة.

١٢ - وعن الرهن فالإسلام يجيز الرهن ؛ والرهن هو تخصيص شيءٍ بعينه للوفاءِ بالحق من ثمن هذا الشيءِ عند تعذر أخذ هذا الحق من المدين. ويحدد الشرع أنه فى حالة السفر ولم يوجد كاتب يكتب أو لم توجد أدوات الكتابة فإنه يجوز أن يأخذ الدائن رهنا يستوثق به حتى يصل إليه حقه. وهذا الرهن يقوم مكان الكتابة.

وكل هذه الأوامر السابقة فيها صلاح للأمة وفيها عظة للأجيال للحفاظ على الحقوق ومنع الاستغلال والاستعباد والظلم بين الخلق والعباد .

وفى الختام ندعو الله بدعاء الختام.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

«سورة البقرة من الآية ٢٨٦»

فيارب لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

ويارب لا تحمِّلْنا ما لا قدرة لنا عليه واعفُ عنا فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا.

واغفر لنا فيما بيننا وبين عبادك واستر عيوبنا وأعمالنا السيئة.

يارب أنت المتولّى أمورَنا وناصرُنا فعليك نتوكلُ وإليك ننيبُ.

فلا حول ولا قوة إلا بك.

فانصر أمةَ محمد على كل أجيال الكفر والظلم يارب العالمين.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

اللهم ارزقنا بكل حرف من القرآن حلاوة، وبكل جزءٍ من القرآن جزاءً.

اللهم أنعم علينا بقراءَة الألف أُلفة ، وبالباءِ بركة، وبالتاءِ توبة، وبالثاءِ ثوابا، وبالجيم جمالاً، وبالحاءِ حكمةً، وبالخاءِ خيرًا، وبالدال دليلاً، وبالذال ذكاءَ ، وبالراء رحمةً، وبالزاءَ زَكَاةً، وبالسين سلاماً، وبالشين شفاءً، وبالصاد صدقاً، وبالضاد ضياءً، وبالطاءِ طيباً، وبالظاءِ ظفرا، وبالعين علماً، وبالغينْ غنى، وبالفاءِ فلاحا، وبالقاف قُرْبةً، وبالكاف كرامة، وباللام لطفاً، وبالميم موعظة، وبالنون نوراً، وبالواو وصلةً، وبالهاءِ هداية، وبالياءِ يقيناً.

اللهم انفعنا بقراءةِ سور القرآن وارفعنا درجات بالذكر الحكيم.

وتقبل منا قراءَتنا وتجاوز عما كان فى فهم وتلاوة الآيات من خطأ أو نسيان أو تحريف كلمة عن موضعها أو تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان انت مولانا فتقبل منا يا سميعَ الدعاءِ .

المـراجـــع

١- القرآن الكريم .

٢- جامع البيان فى تفسير القرآن للإمام محمد بن جرير الطبرى .

٣- تفسير الكاشف: للإمام محمود بن عمر الزمخشرى .

٤- تفسير القرآن العظيم : للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير.

٥- البحر المحيط : لأبى عبد الله محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان .

٦- تفسير الجلالين .

٧- تفسير البيضاوى .

٨- تفسير وخواطر : الشيخ محمد متولى الشعراوى .

٩- تفسير المراغى : للشيخ أحمد مصطفى المراغى .

١٠- تفسير النسفى.

١١- مختار الإمام مسلم وشرح النووى : مصطفى محمد عمارة .

١٢- الدلائل فى اللوازم والجواهر : الشيخ درويش بن جمعة عمر المحروقى سلطنة عُمَان .

١٣- صفوة البيان : للشيخ حسنين مخلوف .

١٤- محاسن التأويل : للشيخ محمد جمال الدين القاسمى .

١٥- صحيح البخارى : للإمام محمد بن إسماعيل البخارى .

١٦- صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى .

١٧- التاج الجامع للأصول : للشيخ منصور على ناصف .

١٨- قصص الأنبياء : للشيخ عبد الوهاب النجار.

١٩- تاريخ بنى إسرائيل فى أسفارهم : للأستاذ محمد عزة دروزة .

٢٠- تاريخ الإسرائيليين : للأستاذ شاهين مكاريوس .

٢١- الأسفار المقدسة: للدكتور على عبد الواحد وافى .

٢٢- حياة محمد : لمحمد حسنين هيكل .

٢٣- اليهودية : دكتور أحمد شلبى .

٢٤- فقه السيرة : للشيخ محمد الغزالى .

٢٥- يقظة العالم اليهودى : لايلى ليفى أبو عسل .

٢٦- الصهيونية العالمية وأرض الميعاد: للأستاذ على إمام عطية.

٢٧- إسرائيل ذلك الدولار الزائف : ألفريد ليلنتال .

٢٨- عقيدة المسلم : محمد الغزالى.

٢٩- القرآن محاولة لفهم عصرى : د / مصطفى محمود.

٣٠- حسن الأسوة : السيد محمد صديق خان بهادر.

٣١- أحسن القصص: على فكرى.

٣٢- اليهود فى بلاد العرب : الدكتور إسرائيل ولفنسون.

٣٣- شخصيات خالدة فى الإسلام : عبد المقصود حبيب.

٣٤- بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : الدكتور محمد سيد طنطاوى.

٣٥- التفسير الواضح: للدكتور محمد محمود حجازى.

٣٦- الأسرة فى التشريع الإسلامى : أحمد فرج السنهورى.

٣٧- الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).

٣٨- متى تنتهى إسرائيل. د. عايد طه ناصف .

٣٩- نهاية إسرائيل المعاصرة .. ومعركة الخلاص ..
ونهاية أمريكا وحلفائها .. د . عايد طه ناصف .

٤٠- غزو العراق ودمار إسرائيل الكبرى . د. عايد طه ناصف .

من اصدارات المركز الإعلامى للدراسات والبحوث القومية والاستراتيجية

١- اعجاز القرآن وبناء الانسان.

٢- بنو اسرائيل .

٣- البيت النبوى .

٤- الإعجاز الوجدانى فى القرآن.

٥- الإعجاز العلمى فى القرآن.

٦- تاريخ محو الأمية فى مصر.

٧- متى تنتهى إسرائيل.. ؟

٨- نهاية إسرائيل المعاصرة ومعركة الخلاص .

٩- غزو العراق ودمار إسرائيل الكبرى.

١٠- القرآن ونهاية اسرائيل.

١١ - بنو إسرائيل وأكذوبة السامية .

١٢- أمهات المؤمنين وتكريم نساء العالمين.

١٣- القرآن ومعطيات العلم الحديث .

الفهرس

رقم الصفحة

لماذا هذا الكتاب ٤

الباب الأول

الفصل الأول : سورة الفاتحة ١٠

الفصل الثانى : سورة البقرة وكنوذها الجمالية ١٤

الفصل الثالث : قصة خلق آدم وتعمير الأرض ٢٧

الباب الثانى

الفصل الأول : قصة بنى إسرائيل فى مصر ٣٦

الفصل الثانى : الموازيين العادلة للإيمان ٥٥

الباب الثالث

الفصل الأول : قصة بقرة بنى إسرائيل ٦٠

الفصل الثانى : العلامات المميزة لبنى إسرائيل ودورهم فى إفساد الخلق ٧٢

الباب الرابع

الفصل الأول : قصة سيدنا إبراهيم ٨٨

الفصل الثانى : الدين لله والشرائع جميعاً دين واحد ٩٥

الفصـــل الثالث : الإيمان وقوة اليقين ١٠٥

والصفات التكميلية لجمال المؤمن

الباب الخامس

الفصل الأول : الحلال والحرام فى دين الإسلام ١١٨

الفصل الثانى : معانى البر فى القرآن ١٢٦

الفصل الثالث : تشريعات الرحمة فى القرآن ١٣١

الباب السادس

الإعداد الإلهى لنزول القرآن

● قصة ومقدمات نزول القرآن فى رمضان ١٤٢

● مقدمات الرسالة ودلالاتها ١٥٥

● بداية نزول القرآن ١٦١

الباب السابع

الفصـــل الأول : الإسلام دين المعاملات المثالية بين البشر ١٦٤

الفصـــل الثانى : المعمار القرآنى لصلاح الفرد والأسرة الإسلامية ١٧٢

الفصـــل الثالث : المشروعية فى العلاقات الاقتصادية والإسلامية ١٩٢